دكتور عبد الحميد درويش



الفلسفة فى مصر القديمة

من أمحوتب إلى اخناتون

2780 - 1340 ق.م

دراسة فى أصل التوحيد

تصدير : الدكتور عاطف العراقي



يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون - ٣٩١٧٤٧٠


أهم جروبات على تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

دكتور عبد الحميد درويش

الفلسفة في مصر القديمة

من أمحوتب إلى أخناتون

2780 - 1340 ق . م

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م



إهداء

إلى رائد التنوير والعقل

الأستاذ القدوة والمثل

أستاذى الدكتور

عاطف العراقى


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

تصدير

بقلم د. عاطف العراقي - أستاذ الفلسفة العربية

يحتل الفكر الشرقى القديم فى تاريخ الفكر العـالمى مكانـة كبـيرة ، إننـا نجـد فكراً غاية فى الدقة والإحاطة والشمول انتشر فـى العديـد مـن البلـدان القديمـة ومنـذ قرون بعيدة فى الزمان ، فى مصر والهند والصيـن واليابـان والعـراق.

وكم أثر هذا الفكر فى بلورة العديد من الأفكار التـى وجدناهـا بعـد ذلـك عنـد العرب وعند أوربا أيضاً ، وبحيث أصبح مـن الضـرورى لدراسـة تـاريخ أيـة فكـرة من الأفكار ، أن نرجع إلى فكر تلك الشـعوب القديمـة.

من هنا كانت سعادتى حيـن وجـدت الدكتـور عبـد الحميـد درويـش والـذى سبق لى منذ سنوات طويلة مناقشته فى رسـالة للماجسـتير ، وإشـرافى علـى رسـالته للدكتوراه بكلية الآداب - جامعة القاهرة ، مـهتماً منـذ عـدة سـنوات بدراسـة وقـراءة وتحليل جـانب مـن جوانـب هـذا الفكـر ، وهـو الجـانب الفلسـفى ، فـى مصـر القديمة ، وفى فترة زمنية معينة ، من أمحوتـب إلـى إخنـاتون.

رجع باحثنا والذى كان كمـا قلـت تلميـذى بـالأمس ، وزميلـى اليـوم حيـث يعمل مدرساً بكلية التربيـة بـالعريش - جامعـة قنـاة السـويس ، إلـى العديـد مـن المصادر والمراجع الهامة ، فالكتاب الذى يقدمـه اليـوم للطبـع والنشـر يكشـف عـن سعة إطلاعه وتأملاته الطويلة ، ونحـن نعلـم أن مـن أول شـروط البحـوث الجامعيـة الأكاديمية ، أن يحرص صاحبها علـى الإطـلاع ، والإطـلاع المكثـف علـى العديـد من الدراسات فى المجـال الـذى يختـاره موضوعـاً أو مجـالاً للدراسـة. فـإذا جـاء الدكتور عبد الحميد درويـش ، وكـان حريصـاً علـى أن يـزود نفسـه بـالعديد مـن الأفكار التى سبق أن قام بمعالجتها باحثون قبله ، فإن هـذا إن دلنـا علـى شـئ ، فإنمـا يدلنا على حرص الباحث على التعرف على كـل أبعـاد موضوعـه. إن هـذا يعـد بـلا

شك شيئا محمودا أو مطلوبا من الباحثين فى أى مجال من مجالات العلوم الإنسانية وغيرها.

صحيح إننا نختلف مع الدكتور عبد الحميد درويش فى نقطة أو أكثر من النقاط التى نجدها فى دراسته ، ولكن الاختلاف فى الرأى يعد شيئاً متوقعاً ، لأننا فى مجال الفلسفة والتفلسف.

صحيح أيضاً أننا قد لا نتفق حول قضية "الفلسفة" فى مصر القديمة" ، إذ إننا نذهب من جانبنا إلى رد نشأة الفلسفة إلى بلاد اليونان ، وليس إلى أى شعب من الشعوب القديمة الشرقية ، سواء بمصر أو غيرها من البلدان ، ولكن هذا لا يقلل بوجه عام من أهمية "الفكر" فى مصر القديمة وغيرها من الشعوب القديمة.

إن الغالب على فكر هذه الشعوب ، هو الصبغة الدينية وليس الصبغة الفلسفية ، ونحن نعلم أن خصائص الفكر الدينى ، غير خصائص الفكر الفلسفى.

وإذا كنا نتفق جميعاً على القول بأن أفلاطون اليونانى كان فيلسوفاً ، وأرسطو تلميذه كان أيضاً فيلسوفاً ، إلا إننا لا نستطيع القول بأن بلداننا الشرقية القديمة قد أنجبت لنا فيلسوفاً من الفلاسفة ، إن مصر القديمة قد خلت من وجود فلاسفة ــ تماماً كما نقول بأن بلداننا العربية لا نجد فيها فيلسوفاً من الفلاسفة منذ ثمانية قرون ، وعلى وجه التحديد منذ العاشر من ديسمبر عام ١١٩٨م ، وهو التاريخ الذى يوافق وفاة ابن رشد آخر فلاسفة العرب.

لماذا لم نجد فلسفة بالمعنى الدقيق لكلمة فلسفة فى مصر القديمة ، لماذا لم نجد فلاسفة فى مصرنا القديمة ؟ هل يرجع ذلك إلى وجود الكهنة فى مصر القديمة ، أم يرجع إلى أسباب أخرى ؟ ، هذه قضايا عديدة لا شك فى أن مؤلفنا الدكتور عبد الحميد درويش ، سيقوم بتحليلها وسبر أغوارها فى دراسات قادمة ، نظراً لأنه يملك أدوات البحث ، البحث الأكاديمى الجاد.

وهذا لا يقلل من أهمية الفكر في مصر القديمة ، إذ من قبيل إضاعة الوقت ، الشك في مدى أهمية هذا الفكر ، إنه فكر خالد جبار ملأ بقاع الأرض علماً ونوراً ومعرفة. إنه فكر لم يكتب إلا لكي تستفيد منه الشعوب والأمم منذ آلاف السنين وحتى أيامنا التي نحياها ، إنه فكر يستند إلى جذور قوية ، وواثق الخطوة يمشي ملكاً كما نقول.

إن العالم يشهد الآن اهتماماً بالغاً بهذا الفكر ، فكم من مقررات دراسية بالعديد من جامعات مصر وغيرها تركز بالدرجة الأولى على استكشاف جوانب شموخ هذا الفكر في مصرنا القديمة ، وغيرها من شعوب الشرق القديمة ، وقد آن الأوان لتصحيح نظرتنا إلى هذا الفكر الحيوي والشامخ ، نقول هذا رغم ذهابنا من جانبنا كما سبق أن أشرنا بأن نشأة الفلسفة والتفلسف لا ترجع أساساً إلى شعوب الشرق القديمة ، بل ترجع إلى اليونان.

ونجد في هذه الدراسة التي يقدمها مؤلفنا عبد الحميد درويش جهداً واضحاً ، إنه يقسم دراسته إلى مجموعة من الأقسام والعناصر والنقاط ، وينتقل بدقة من عنصر إلى عنصر أخر من العناصر التي نجدها داخل إطار كتابه. كما أن المؤلف لم يقتصر على مجرد العرض الموضوعي للآراء الفكرية التي نجدها في فترة زمنية في مصر القديمة ، بل إننا نجده يضيف إلى البعد الموضوعي ، بعداً ذاتياً نقدياً ، وذلك حين يلجأ إلى المناقشة والمقارنة والموازنة بين العديد من الآراء التي قام بتحليلها بأسلوب واضح يدلنا على أنه استطاع فهم طبيعة الآراء التي ذكرها.

ولجوء الباحث إلى المقارنة والموازنة ، يدلنا على وجود شخصية له تظهر بين ثنايا دراسته ، كما أنه لم يلجأ إلى الأسلوب الخطابي الإنشائي والذي لا يخلو من مبالغة. نعم لم يلجأ إلى هذا الأسلوب الذي نجده منتشراً الآن عند أشباه الباحثين ، وأشباه الأساتذة والذين يعملون داخل أشباه أقسام الفلسفة حالياً ، والفلسفة منهم براء.

كما أن رجوع الباحث إلى العديد من المصادر والمراجع والتى عولت بالدرجة الأولى على دراسة الفكر الشرقي المصرى القديم ، يدلنا كما سبق أن أشرنا على اهتمام بالغ من جانب الباحث بدراسة موضوعه.

نقول ونكرر القول بأننا إذ كنا نختلف مع مؤلفنا الفاضل الدكتور عبد الحميد درويش حول بعض الآراء التى ذهب إليها ، وحول بعض جوانب المنهج الذى سار عليه في دراسته لموضوع بحثه ، إلا أن هذا لا يقلل من أهمية الدراسة التى يقدمها اليوم للطبع والنشر حتى يستفيد منها الباحثون والقراء عامة ، والدارسون للفكر الشرقى المصرى القديم خاصة ، ويكفى أن الهدف الذى سعى إليه مؤلفنا من دراسته يعد هدفا ساميا نبيلا.

ونرجو للمؤلف الدكتور عبد الحميد درويش كل ازدهار وتقدم فى بحوثه ودراساته الجامعية. إنه باحث جاد يملك أدوات البحث والدراسة وفى اعتقادنا أنه عن طريق هذه الأدوات العلمية ، بإمكانه إثراء مكتبتنا العربية بالعديد من المؤلفات فى مجال الفكر الشرقى القديم ، والفكر العربى قديمه وحديثه.

والله هو الموفق للسداد

عاطف العراقى

مدينة نصر فى ٨ سبتمبر ١٩٩٨م.

امحوتب IMHOTEB
2870 - 2680 ق.م

"امحوتب بن حابو" أشــهر حكمــاء مصــر القديمــة وأحــد مؤسســي مدرســة الحكمة التى كان مركزها معبــد أون فــى مدينــة هليوبوليــس (عيــن شــمس الحاليــة) والتى كانت بمثابة جامعة للعلوم والفنون ومقراً لعبــادة إلــه الشــمس رع.

عاصر امحوتب عهد الملك زوســـر أول ملــوك الأســرة الثالثــة بيــن عــامى ٢٧٨٠ إلى ٢٦٨٠ ق. م. وكـــان النمــوذج العملــى المتقــدم لمفــهوم الحكمــة بمعنــى كمال العقل وتمام الإدراك ليثبت أن الكمال غاية بشــرية ومنحــة إلهيــة وليــس مجــرد صفة يتحلى به الأمراء أو غاية مثاليـــة. فجمعــت حكمتــه بيــن الديــن والفــن وعلــوم الهندسة والفلك والطب التــى بلــغ فيــها مكانــة عاليــة ، وقــد دلــت ألقابــه ووظائفــه وشهرته على مقدار ما وصل إليه من علــم ومكانــة ومــا قدمــه مــن معــارف مفيــدة لعصــوه[1].

كانت الحكمة عند امحوتب هى العلم ، وكـــان العلــم عنــده كــل مــا يســتطيع الإنسان تحصيله من معارف مفيــدة وأكيــدة بنظــر العقــل ، بشــرط ألا تتوقــف هــذه الحكمة عند حد النظر بل يجب أن تنتقل إلـــى مرحلــة التعبــير العملــى الصـــادق عــن الأراء والخبرات والحكم. لذلـــك لــم يكتــف "امحوتــب" بتــأليف الكتــب فــى الطــب والعلاجات والفلك بل كان يمارس العلاج والتحنيــط وإجــراء الجراحــات الدقيقــة حتــى بلغت شهرته مكانة كبيرة فى عصره وفى العصــور التــى تلتــه.

---

(1) من هذه الألقاب والوظائف التى اشتهر بها امحوتب :

رئيس المثالين ، كبير المهندسين ، كبير المتطلعين إلى السماء ، كبير الرائيين ، المتطلــع إلــى رب الشمس الكبير ، الحكيم النابغة ، الكاهن الأكبر ، خادم الفرعون ، الكاهن المرتل ، ابن الإله بتــاح ، أمير أختام الوجه البحرى ، ناظر القصر العالى.

وتأكدت هذه الحقيقة عندما عــثر علــى بعــض لفــائف الــبردى التــى كتبــها امحوتب فى الطب واعتبرها رجــال العلــم أول كتــاب فــى الجراحــة وأول موســوعة طبية فى تاريخ البشرية وأيدوا هذا الرأى بأدلـــة منــها:

- إن الإغريق المتمصرين فى العصر القديــم أطلقــوا علــى امحوتــب لقــب إلــه الطب وأسموه رب الشـــفاء ، وشــبهوه بإلــه الإغريــق اســخيلوس رب الطــب والحكمة عندهم ، وأن ما كتبه فى الطب جعله علـــى رأس أهــل الحكمــة.
- إن عصر الملك زوسر قد اشتهر بتقـــدم العلــوم وخاصـــة علــم التحنيــط ومــا يتطلبه ذلك من براعة وتقدم فــى الجراحــات والعلــم بالأعضــاء ومــا يحفظــها آماداً طويلة ، ومكونات الجسم وعلــم بالأدويــة والعقــاقير لحفــظ الجســم بعــد الوفاة انتظارا ليوم البعث والحساب فى عــالم الحيــاة الآخــرة .
- إن امحوتب قد بلغ درجة عالية فـــى صناعـــة العقــاقير والأدويــة واســتخراجها من الأعشاب واستخدامها فى العلاج والتحنيط ، وأنه نبـــه إلــى كيفيــة اســتخدام هذه الأعشاب ومزجها وأهم أنواعها المتوفرة فــى البيئــة المصريــة .
- إن معــارف امحوتــب الكيميائيــة كــانت وراء تقــدم الفــن وتصنيــع المعــادن واستخراج النحاس والذهب وصناعة الألـــوان والصباغــات والأدويــة واشــتقاق اسم الكيمياء العلمى من الكلمـــة المصريــة "كمــت" وهــى اســم مصــر قديمــاً بمعنى الأرض الســمراء.[1]
- إن المؤرخ المصرى القديم "مانتيون" ســجل فــى برديــة "توريــن" أن امحوتــب الحكيــم وراء تطــور العلــوم والفنــون والآداب فــى عصــر الملــك زوســر والعصور التى تلتــه.

---

[1] للاستزادة من المعلومات التاريخية عن امحوتب راجع :

- W.S Smith The old Kingdom in EGYPT, vol. I 1965

- د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ١٠٢- ١٠٨ - ٢٢٣.

- د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٩٠ - ٩٦.

وكانت الحكمة عند امحوتب هى الفكـــر المنتظـم والسـلوك المسـتقيم ، وهـذه الحكمة تتطلب صلاح الفرد واستقامته فهو أساس حســابه وبعثــه وبقــاء جسـده وخلـود روحـه.

ورأى امحوتب أن من الحكمة صيانة الجسـم وحفظـه وسـلامته لأنـه المحـل لخلود الروح واستمرار وجودهـــا ، وأن صـلاح الفـرد وتقـواه ضـرورة مـن أجـل الخلود والبقاء فى حياة خالية من الشرور والمظــالم ، حيـاة السـعادة الدائمـة ، فالحيـاة الخالدة فى العالم الآخر تتوقف على الأعمـال الدنيويـة الخـيرة.

ومن هنا كانت الحكمة عنده فـى النظـام والتعـاون والأداء الأمثـل والالـتزام بالشعائر والعبادات وحسن المعاملة وتطبيـق العـدل ومنـع الظلـم. ولقـد أنتشـر هـذا المفهوم بين الرعيـة والأمـراء والحكـام وصـار اعتقـاداً وأصبحـت الحكمـة غايـة إنسانية وضرورة عمليـة لأنـها الاسـم الجـامع لأعمـال الخـير والإحسـان والعـدل والسعى لاكتساب السـمعة الطيبـة ومحبـة الرعيـة. ودلـت نقـوش المقـابر وكتـاب الموتى المسمى بالإنكارات ومواعظ كتــاب الحكمـة ، مـدى الالـتزام بمـا ينبغـى أن يكون والسعى لحصول الكمال من أجل الخلـود وسـعادة الآخـرة.

وكانت الترجمة العملية لهذا المفـهوم فـى فكـرة امحوتـب الهندسـية للحفـاظ على الجسم واستمرار بقائه ببناء الهرم المدرج على شـكل مصــاطب تقـل فـى الحجـم كلما ارتفع البناء في إشـارة إلـى القداسـة والعلـو والاسـتمرار وكـان امحوتـب أول مفكر ومنفذ لفكرة الأهرامات ، وكان هذا الهرم المدرج أول هـرم فـى الوجـود.

وقد عبر امحوتب عن كفاءته الهندسية فى العديد من الأعمال الإنشائية غير الـهرم المدرج وتوابعه من معابد وقصور. وأثبت عمليا أن الحكمة علم وعمل ، فكـر وسـلوك ، فكان طبيباً وجراحاً وفلكياً وكاهناً ومهندساً بارعاً ، وكان بحق كبـير المهندسـين وكبـير المثالين ، وكبير الكهنة ووزير القصر أيضا.[1]

---

[1] وقد سجلت لوحة الخلود فى عهد رمسيس الثانى أسماء خمسين كاتبا وحكيما من الذين تزعموا حركة العلم والمعرفة والفن والأدب فى مصر القديمة والذين قدموا الفكر والنصيحة ووضعوا مبادئ العلوم ،

=

ولم يقتصر مفهوم الحكمة عند امحوتب على ضرورة الجمع بين الدين والعلم بل امتد مفهومها ليشمل الاهتمام بالإنسان فى حقيقته وكل ما يتصل به أو يؤثر فيه سلباً أو إيجاباً ، وكل ما يشغل فكره من قضايا ومشكلات ، وأن هذه الحكمة غايتها فلاح الإنسان وسعادته ومصدرها الوحى الإلهى وأن الإنسان لا يتمكن من هذه الحكمة إلا بالعمل وإعمال الفكر وكثرة السؤال وتحصيل المعارف. وقد وصف امحوتب هذه الحكمة فى معرض أقواله ومعارفه فقال :

"تعمقت فى الأقوال القدسية واطلعت على أعمال تحوتى [رب الحكمة] الباهرة وتزودت بكل أسرارها وكشفت عن فصولها ، ولهذا اعتاد الناس أن يستشيرونى فى كل أمورها".

وعند تأمل كلمات هذه العبارة تظهر مدى معرفة امحوتب بأقوال وحكم الأنبياء والحكماء السابقين له ، فتلك هى الأقوال القدسية ، وكذلك أعمال الإله تحوتى الذى يهب الحكمة والمعارف لأن تحوتى هو إله المعرفة والعدالة والميزان والذى يهب الحقيقة للبشر ، أما استشارة الناس له فهى إشارة إلى ما وصل إليه امحوتب من قدرة كلامية ومعرفية ، لأن الاستشارة ليست مجرد رأى أو حكم للناس بل هى مناقشة وإقناع حول قضايا معرفية ودينية عن الروح والجسم والموت والحياة والخلود والبعث والحساب ، لأن هذه القضايا كانت أهم ما يشغل الفكر المصرى عبر تاريخه الطويل .

كما تؤكد العبارة مدى حرص الإنسان المصرى على المعرفة وتحصيل الحكمة عن طريق الرأى والحوار والسؤال وهى معانى لكلمة الاستشارة.

ويمكن الاستدلال على مكانة امحوتب الفكرية وتقديمه للحكمة القائمة على تفاعل النظر والعمل والدين والعقل من خلال نجاحه فى وظائفه العلمية والدينية وقدرته على مواجهة المشكلات الاجتماعية.

وقاموا بتسجيل أهم الوقائع التاريخية منذ العصر الحجرى الحديث وبداية عصر الأسرات وحتى عصر رمسيس الثانى وما بعده ، وكان فى مقدمة هؤلاء الكاتب الحكيم امحوتب الذى ظهر واشتهر مع بداية عصر الأسرة الثالثة فى عهد الملك زوسر.

ففى مجال الحياة الروحية تقلد امحوتب أعلى المناصب الدينية والعلمية فى مدينة "أون" معقل كهنة الشمس "آمون رع" ، فكان "امحوتب" رئيساً لكهنة "آمون" وكبير المرتلين بوصفه الكاهن الأكبر للإله "آمون" حتى أطلق عليه لقب ابن الإله "بتاح".

وفى هذا الإطار كانت الحكمة عند "امحوتب" فى الاتصال الدائم بعالم الآخرة بالذكر والدعاء والإخلاص فى الأعمال فتلك وسائل الاتصال والقرب من عالم الحساب والخلود ، لأن الإله يعرف الذين يعملون من أجله ، وكذلك يعرف الشقى فينتقم منه ويجازى البشر على قدر أعمالهم حتى أعمال الفرعون نفسه ، وأن الحساب الأخروى لا يكون للجسم فقط بل للجسم والروح معاً ، لأن الروح تواجه المحاكمة فى العالم الآخر وتدافع عن صاحبها لتثبت صلاحه وإخلاصه وحقه فى الخلود والبقاء الأخروى .

وكان هذا المعتقد وراء التزام الفكر المصرى جانب الأخلاق والقيم. والتأكد من أن الجسم والروح معا هما جوهر الوجود الإنسانى المستمر عبر الحياة والموت والبعث والخلود .

ويبالغ البعض فى وصف مكانة "امحوتب" العلمية ويرون أن شهرته وأثره الفعال قد امتد بعد وفاته قروناً طويلة وأن الناس كانوا يتبادلون أقواله وحكمه وانهم كانوا يعتبرونه من الأولياء وينسبون إليه الشفاء ، وأنهم أعادوا بناء مقصورة شعائره فى غرب طيبة وحولوها إلى معبد كبير وأشادوا بكراماته فى قضاء حوائجهم وعلاج مرضاهم إذا باتوا ليلة فى معبده ، واحتراما لعلمه ومكانته بعد وفاته كان كتاب الحكمة قبل ممارسة أعمالهم يحرصون على إراقة بعض قطرات من الماء قرباناً واحتراماً "لامحوتب"!

كما يستدلون بما نقش فى لوحة المجاعة على جدار مقبرته والتى وصفت مقدار حكمته وأشادت بعهد الملك "زوسر" . وكيف كان "امحوتب" يواجه قضايا المجتمع بالعقل والمنطق والتجربة واعتماده على العلة والدليل فى تفسير الظواهر

.. فالنقوش تروى قصة ما حدث فى العام الثامن عشر من حكم الملك "زوسر" فى أيام أمير النوبيين الحاكم "مادير" رئيس معابد الجنوب.

عندما واجهت البلاد فترة الجفاف وشعر الناس بالضيق والقلق بعد أن عز الفيضان حوالى سبع سنوات وقلت الحبوب وتضاءلت المحاصيل ، واستشعر الشيوخ والشباب والأطفال آلام المجاعة وتروى اللوحة مدى ضيق الملك وخوفه على رعيته وحرصه على معرفة الحقائق.

فأراد الملك أن يتحرى الأصول والأسباب لما لحق البلاد من بلاء ولماذا قل فيضان الماء فاستشار الملك كبير كهنته. وعلى الفور اختلى امحوتب بمخطوطاته وأوراقه ليدرسها ويتأمل حكم الأقدمين فيها .. وبعد مدة قصيرة عاد إلى الملك ليخبره بأن ثمة قرية تسيطر على النهر من المنبع تسمى [أبو/أسوان] تعتبر البداية وحاضرة الإقليم الأول وعندها يوجد المنبعان اللذان يصدران عنهما كل خير ، وهى المهد الذى ينشأ عنده الفيضان ويتجمع ..

ولما سمع الملك ذلك سر كثيرا من "امحوتب" وأقتنع لأدلته وحسن مشورته.

وتروى اللوحة أيضا ردود فعل الملك وميله إلى المعرفة ومواجهة القضايا والمشكلات ، وميله إلى تفسير الظواهر بعللها البعيدة رغم قناعته بأدلة "امحوتب" واعتماده على العلة القريبة والمشاهدة الحسية والتجربة. وتروى اللوحة أن الملك زوسر بعد أن قدم الأضاحى والقرابين لأرباب آبو ، رأى فى منامه الإله "خنوم" مشكل البشر من صلصال **(أى الإله الذى خلق البشر من طين)** رآه يحدثه جهرة ويقول له : **"أنا خنوم خالقك ، أنا من يرسل يديه من ورائك لأكفل لك التأييد ، وأهب بدنك العافية ، أنا الذى أوجدت اليابسة ووهبتك أحجار الجرانيت منذ القدم لتشيدوا بها المعابد وتجددوا بها المنهدم .. أنا توت العظيم الموجود منذ الأزل ، أنا الفيضان الذى يرتفع حيثما يشاء"** ..

ولما أفاق الملك أدرك أن صاحب الفضل فى العطاء والفيضان والخير هو الإله الخالق "خنوم" دون سواه .. وعلى الفور سارع الملك لتقديم الأضاحى

والقرابين ، وأمر بأن توقف بعض خـــيرات المنطقــة للصـــرف علـــى مراســم عبادتـــه وحده وأن يكون لمعبده الحق فى الحصول علـــى ضريبـــة العشـــر مـــن صيـــد الســمك والطيور وأعمال المحاجر والمتاجر بمنطقته تقربـــاً إليـــه واعترافـــاً بفضلـــه.[1]

---

(1) - هيرودوت : حضارة مصر. ترجمة د. محمد صقر خفاجة. القاهرة ١٩٦٦.
- د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ١٠٠- ١١٥ ، ص ٢٢٠.
- د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٩٠-٩٦.

كاجمنى KajMeny

2635 - 2561 ق.م

"كاجمنى" حكيم مصرى من حكماء عصر الأسـرة الثالثـة التـى وجـدت بيـن أعوام ٢٧٨٠ – ٢٦٨٠ – ٢٦٣٥ قبـل الميـلاد .

كان "كاجمنى" وزيراً لأحد ملوك هـذه الأسـرة ، وأنـه عمـل بـالتعليم فكـان معلما لأبناء الملك "حونى" آخر ملوك الأسرة الثالثة فـى الدولـة القديمـة. أشـتهر عنـه تأليف مجموعة من النصائح الخلقية والتعـاليم الدينيـة التـى لـها أثرهـا الفعـال علـى مدى عدة قرون ، وقد كشفت الحفائر الأثرية عن بعـض هـذه النصـائح.

وقد أهتم العديد من الباحثين ورجـال التـاريخ بـهذه النصـائح منـهم المـؤرخ الفرنسى فرنسوا دوماس ، ووالـس بيـدج.

دارت نصائح "كاجمنى" حـول أهميـة الاعتقـاد بالوحدانيـة والتمسـك بـالقيم والفضائل ، وهى تعكـس مـدى تـأثر المصـرى القديـم بتعـاليم الأديـان والاعتقـاد الراسخ فى أعماق الإنسان المصرى بحقيقة الجـزاء الخلقـى والثـواب والعقـاب وهـى تؤكد على الأثر الإيجابى للتدين على سـلوك الفـرد وتحسـينه وأن الطاعـة والاسـتقامة ضرورة لينال الفرد حسن الجزاء فى الدنيـا والآخـرة.

ومن هـذه النصائـح:

- أسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضـب الإلـه .
- أحذر أن تكون عنيدا فى الخصام فتسـتوجب عقـاب الإلـه .
- ولا تكونن فخورا بقوتك لأن الإنسان لا يعـرف مـاذا سـيكون مصـيره ولا يعرف ماذا يفعل الإله عندما يـنزل العقـاب.

وعنـد القيـام بتحليـل هـذه النصـائح نـدرك مـدى اهتمـام المفكـر المصـرى بالحيـاة والمـوت والمصـير ، فالحيـاة تعنـى العمـل والاسـتقامة

والموت يعنى الخلود والبعث والبقاء والمصير يعنى القدر المجهول الذى لا يعلمه سوى الإله.

وندرك أيضا كما يقول "والس بيدج" أن نصائح كاجمنى تصور مدى تمسك المصرى القديم بعقيدة التوحيد ، وأن كاجمنى قدم تصوره القائم على إيمانه بالإله الواحد الخالق الذى يهب الإنسان المال والبنون وهو الرازق الذى يهب الإنسان الرزق ، وهو العظيم المريد الذى لا يحب المفسدين المارقين الباغين ، وهو المحب للطائعين الذين يراعون ربهم. وهو الإله القوى الحكيم الذى يدبر العالم ويرزق طبقا لإرادته.

وأكد المؤرخ الفرنسى "فرانسوا دوماس" أن هذه النصائح والحكم تشير إلى رسوخ الاعتقاد بإله واحد ..

والوحدانية صفة إلهية آمن بها المصرى القديم لإيمانه بالرسالات السماوية وما جاء به الرسل والأنبياء فى مصر القديمة ابتداء من النبى إدريس وحتى موسى وعيسى ومحمد ﷺ كما إننا ندرك ذلك من تقارب المعانى بين ما جاء فى نصائح وحكم كاجمنى وأمثاله من حكماء مصر القديمة وما جاء فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومثال ذلك أن كلمات كاجمنى فى طريق الاستقامة والتحذير من العناد والإصرار على الخصام. فى دعوة إلى الود والحب الذى يجب أن يسود العلاقات الاجتماعية بين البشر ، هذا ما نلاحظه فى الحديث النبوى **﴿آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا خاصم فجر﴾.**

وذكر **"والس بيدج"** إنه يمكننا أن نستزيد بمعلومات أكثر عن فكرة الله عند المصريين القدماء ببعض عبارات محددة فى الوصية الشهيرة "لكاجمنى" ، وهى تؤكد ما وصل إليه الفكر المصرى من تقدم فى الجانب الخلقى والدينى ومدى تمسك الشعب المصرى بمبادئ التوحيد وحسن الخلق ، وربطه بين الدين والخلق وبين النظر والعمل ، كما تدل

فى الوقـــت نفســه علــى أن الفكــر المصـــرى فـــى أصلـــه فكـــر دينـــى وأنـــه كـــان علـــى صلـــة قويـــة بالتعـــاليم الســـماوية والرســـالات المقدســـة.[1]

---

(1) ١- الأدب المصرى القديم ج ١. د. سليم حسن ص ١٩٩.

٢- قدماء المصريين أول الموحدين د. نديم السيار ج ١ ص١٧١ - ١٧٣ - ط ٢ ١٩٩٥

- W. Budge : The Egyptian Book of The Dead.

- W. Budge : From Fetish To God in Ancient Egypt. Oxford 1934.

٣- فرانسوا دوماس : آلهة المصريين . ص ١١٨ - ١٤٨ - ١٥١.

راجع عن الكاتب الحكيم كاجمنى فى :

- F. Daumas : Le Civilization de L' Eygpte Pharaonique Paris , 1965 P. 315

بتاح حوتب

BATAH HOTEB

2480 - 2420 ق . م

بتاح حوتب هو أبرز حكماء الأسرة الخامسة التى حكمت مصر بين أعوام ٢٥٦٠ إلى ٢٤٢٠ قبل الميلاد.

وهو أشهر حكماء الدولة القديمة بسبب ما قدمه من حكم ومواعظ فى بناء الإنسان والمجتمع وما يجب أن يكون عليه سلوك الفرد .

كان بتاح حوتب وزيراً للملك "إسيس" ESYS الذى سمى عصره بعصر التقوى والرفاهية ، ولم يبخل بتاح بحكمته وعلمه وتنوع معارفه التى صاغها فى صورة مواعظ خلقية ونصائح موجهة لولده والشباب أمثاله يدعوهم إلى العلم والمعرفة والإيمان وحسن الخلق.

فسجل هذه الحكم وصاغها صياغة أدبية رفيعة فأثارت انتباه راغبى الحكمة والمعرفة والأدب والفن فى كل عصر لأنها كانت بمثابة المنهج المتكامل للتربية والنجاح فى الحياة وتحقيق السعادة للفرد والمجتمع.

وهى تعكس مدى اهتمام بتاح بالمعرفة والسلوك ومبادئ الأخلاق الاجتماعية ، واهتمامه الخاص بدور الأسرة فى التربية والتعليم وبناء المجتمع واستقراره .

إن فلسفة بتاح رغم غلبة الطابع الأخلاقى عليها فهى تعكس مدى اهتمام المصرى القديم كمواطن وكاهن أو كاتب بمختلف مجالات المعرفة واستخدام

العقل وطرق هذا الاستخدام وفائدته ، وهذا ما أثبتته البحوث والمكتشفات الحديثة.[1]

ففى مجال المعرفة أكد "بتاح" مدى اهتمام المصرى القديم ببيان أصل الحكمة ومصدرها الإلهى وبيان أهميتها ومجال تطبيقها ونجاحها فى مختلف العلوم والفنون والمعارف ، ومن ثم كانت الحكمة عنده حكمة عملية أكثر منها نظرية لأنها كانت تعنى الالتزام والسماع والوعى بمعانى العدالة والمساواة والحق والاستقرار ، كما كانت تعنى الاحترام والسعى للمعرفة والعلم والثقافة وممارسة الكتابة وتسجيل مختلف الفنون والآداب فكل ذلك من الحكمة.

وهذه الحكمة العملية لم تكن مجرد إعمال العقل او فهم لمعانى العدل أو عمل آلى روتينى لتحصيل المعرفة أو مجرد ممارسة للتأمل كرياضة عقلية بحتة بل كانت هى الالتزام بممارسة الحق والصدق والعدل والتواضع والالتزام بهذه القيم عند معرفتها والعمل على انتشارها.

وقد عبر بتاح فى نصائحه إلى بقاء هذه القيم وخلودها وفائدتها ..... فقال : "إن صوت الناس يفنى أما صوت الكاتب فيعيش أبد الدهر وما أعظم الحق فإن قيمته خالدة. وكان الكاتب هو الحكيم الذى يستطيع أن يعبر خير تعبير عن حاجات النفس الإنسانية ومطالبها باستخدام القلم للتعبير عن الحقيقة.

وعبر عن ذلك بتاح بقوله : لينطلق قلمك بالحق ولا يخط إلا الصدق بما يفيد الناس ويرضى الإله ، فصوت القلم أعلى الأصوات لأنه

---

[1] أشارت الباحثة الأمريكية أندريا مكدويل فى مقالها الذى نشر فى مجلة المعرفة العلمية إلى اكتشاف عشرات الآلاف من الوثائق فى قرية دير المدينة قرب الأقصر وأن هذه الوثائق أثبتت:

١- أن غالبية المصريين القدماء كانوا يعرفون القراءة والكتابة.

٢- أن المصريين كانوا مغرمين بالنظام وتدوين كل شىء وحب العاصمة طيبة .

٣- أن العامل والمواطن العادى كان للجميع طموح للتعليم ومعرفة الأدب على الرغم من أن وظيفتهم لم تكن تتطلب ذلك ، وأن العلم والمعرفة كانا من المفاتيح الأساسية لحياة طيبة وكريمة.

* راجع جريدة الأهرام الأحد ٥ يناير ١٩٩٧م ص١ .

صوت الحق ، وأن الكتابة حاسة مقدسة يهبها الإله للكاتب لترفعه فوق الناس فيرى مالا يرون ويسمع مالا يسمعون.

وهكذا كانت الكتابة تعبيرا عن الحكمة التى يهبها الإله للحكماء والصالحين وما جاء فى التعبير القرآنى مصداقا لذلك فى قوله تعالى :-

﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة ٢٦٩]

لقد أثبت "بتاح" أن الحكمة لا تكون إلا بالعلم والعمل ، فهى فى العلم بما ينبغى أن يكون عليه الإنسان بالفعل ، ومن ثم تضمنت حكمه ومواعظه أصول العلاقات الإنسانية والاجتماعية فى صورتها المثالية ، وفى مختلف مستوياتها الولد مع أبيه وأسرته وجيرانه ، والمعلم مع تلاميذه والتلميذ مع أستاذه ، والرئيس مع مرءوسيه والمواطن مع الحاكم ، والزوج مع زوجته ، والصديق مع صديقه وعلاقة الفرد مع ذاته وحاجاته ، وعلاقة الفرد مع الآخر فى مختلف حالاته وانفعالاته .

وأكد بتاح أن قيام هذه العلاقات يجب أن يكون على أساس من العلم والدين والمعرفة لتحقق السعادة والغاية وهى البقاء أو الخلود ، وما تلك سوى غاية الحكمة وفائدة الفلسفة على الحقيقة .

لأن بتاح كان حريصا فى التنبيه إلى وجوب فهم حكمه والالتزام بنصائحه لأن فى ذلك الفهم والالتزام فائدة حقيقية للجميع ، ولأن من يفهمها على حقيقتها سيصير أستاذا [أى إنسانا متكاملا] وسيصير زوجا ناجحا وقائدا محبوبا وكاتبا مرموقا .. وفى هذا الإطار جاء قول بتاح حوتب فى حكمه.

- ما أعظم الحق فإن قيمته خالدة ، والحق مثل الطريق السوى أمام الضال.
- إن ثروة المرء العظيمة هى عقله ، فلا تكن متكبرا بسبب معرفتك ولا تثق بأنك رجل عالم.

- ما أفضل الابن عندما يصغى لوالده ، فالابن إذا وعى لما يلقيه عليه والده فانه لن يخيب فى مشروع من مشروعاته .
- وما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه لأنه سيطول عمره من جراء ذلك.
- فإن الابن المستمع المطيع يحبه الإله والذى لا يسمع مكروه من الله.
- إن الغبى هو الذى ينظر إلى العلم كما لو كان جهلا ، وإلى الخير كما لو كان شرا ، لأنه سيجلب على نفسه اللوم كل يوم لأنه يفعل كل ما هو مكروه من الناس.
- عليك باحترام الرئيس طبقا لما وصل إليه.
- لا تكثر من اللغو ولا تسمعه – وإذا حكمت بين الناس فأسلك طريق العدل.
- إذا كنت قائدا وتصدر الأوامر للجمع الغفير فأسع وراء كل كمال حتى لا يكون نقص فى طبيعتك.

الفضائل الأخلاقية عند "بتاح حوتب":

استطاع بتاح حوتب كفيلسوف أخلاقى تصوير ما يجب أن تكون عليه الأخلاق الاجتماعية فى صورتها المثالية ، وأقام مذهبه الأخلاقى على فضائل الحكمة العملية وعكست نصائحه مدى إيمانه بأهمية التقوى والعمل الصالح ، ومدى إيمانه بالقدرة والإرادة الإلهية فى توجيه السلوك البشرى نحو الخير والفضيلة.

فكانت الفضائل الأخلاقية التى دعى إليها وسائل تحقيق الأمن النفسى والكمال الروحى الذى يتحقق من خلال فضائل الأدب والتواضع والتسامح والشجاعة ، والعلم والحكمة ، والصدق والصداقة والثقة والأمانة والعدل والاعتدال ، وغيرها من فضائل الأخلاق.

ولم يكتف "بتاح" بتحديد هذه الفضائل ومجال تطبيقها بل كان حريصا على بيان أضداد هذه الفضائل من مختلف الشرور والرذائل التى يجب أن يحذرها الإنسان لينجو من أخطارها وخاصة إنها من أمراض النفس التى لا علاج لها.

ولم يدعى " بتاح " أنه صاحب الفضل فى التعريف أو الدعوة لهذه الفضائل بل أرجعها إلى الحكماء والمصلحين السابقين عليه وذكر صراحة فى ختام حكمه : "والفضل فى هذه النصائح التى ألقيتها عليك يرجع للأجداد لأن نصائحهم جديرة بالتقدير."[1]

(١) فضيلة التواضع :

فهم " بتاح " التواضع على أنه أدب أخلاقى وعادة متعلمة وضرورة لكمال النفس وعلو القدر وحصول الرضى الإلهى وتحقيق النجاح الدنيوى.

وفى هذا الإطار كان التواضع عنده فضيلة تمكن الفرد بأن يقضى على دوافع الشر والرذيلة وأمراض النفس وأهمها الغرور والطمع والغباء والتعالى والتشاجر والتفاخر والكذب والنفاق .

وهذا يفسر حرص "بتاح" فى حكمه ومواعظه إبراز متطلبات التواضع كالتزام الحذر والصمت عند وجوبه والبعد عن الغرور والتعالى والطمع والتكبر والشراهة والسكر والتشاجر وغيرها من الشرور والرذائل.

- **ففى البعد عن الطمع قال : "إذا أردت أن تحسن خلقك وتصون نفسك من كل سوء فأحذر من الطمع فهو مرض عضال لا دواء له."**
- **وفى البعد عن الغرور قال : "لا يداخلك الغرور بسبب علمك ولا تتعالى لأنك رجل عالم."**
- **وفى البعد عن التكبر والتفاخر قال : "ولا تكن متكبرا ولا تكونن منتفخ الأوداج ، وإذا فاه أخوك بالشر فانصحه."**
- ولأن التواضع ليس مجرد صفة بل سلوك وأدب خلقى يلزم صاحبه التعقل وعدم الاندفاع أو التشاجر أو التعالى على الأخرين قال

---

[1] الأجداد هنا إشارة إلى أصحاب الحكمة قبله من حكماء ورسل وأنبياء.

"بتاح" : (لا تتشاجر مع أى شخص عظيما كان أو بسيطا فإن ذلك أمر كريه فلم يحدث أبدا أن عمل السوء يوصل صاحبه سالما إلى مأمنه).

- وقال أيضا : "إذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القدر وأصبحت غنيا بعد أن كنت فقيرا فى البلد الذى يعرفك أهله فلا تنسى كيف كان حالك فيما مضى ولا تغتر بثروتك التى جاءتك كهبة من الإله.

- والتواضع عند " بتاح حوتب " قيمة خلقية رفيعة يحتاج إليها العالم والحاكم والفقير والغنى والرئيس والفقيه ، ولذا فالتواضع فضيلة جامعة تتطلب من صاحبها التخلق بالحذر والتأدب عند التعامل والحرص والصمت عند مجالس الخطباء والحكماء لأن ذلك كله من متطلبات التواضع.

وفى هذا جاء قوله : "عليك الالتزام بالحذر فى حضرة العظماء والالتزام بآداب المائدة فى حضرة الرئيس ، وعليك باحترام الرئيس طبقا لما وصل إليه دون النظر إلى أصله قبل رئاسته لأن الثمرة لا تأتى عفوا .. وعليك بالتحلى بالصمت أمام الرئيس وألا تتكلم إلا بعلم وحين تسجل المعضلات لأن صناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى.

- والتواضع عند " بتاح " يتحقق بتكميل النفس وسلامة البدن الذى يتطلب بدوره التزام الاعتدال والبعد عن الشراهة والطمع ، فالشراهة عنده مفتاح جميع الشرور ، وهى نقيض التواضع والاعتدال وقرينة الطمع والحقد والسرقة والظلم وسائر الشرور والفواحش ، ولهذا كان حرص "بتاح" على بيان أخطار الشراهة على الفرد والأسرة والمجتمع. وفضل الاعتدال والتواضع فقال : "ولا تكونن شرها فى القسمة ، ولا تكونن ملحا إلا فى حقك ولا تطمعن فى مال أقاربك فإن القليل الذى اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين.

- وإذا أردت أن يكون خلقك محمودا وأن تحرر نفسك مما هو قبيح فأحذر الشراهة فأنها مرض مملوء بالداء ولا يشفى ، والصداقة معها مستحيلة

فإنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عن سيده وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته وهى حزمة من كل أنواع الشر وحقيبة من كل شئ مرذول ، وأن الرجل الذى يتبع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصراط السوى يعيش طويلا ويكسب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر له ، أى لا بقاء له ولا قيمة.

- والتواضع عند "بتاح" ضرورة لحصول العلم والحكمة وتحقيق الرضا الإلهى. وفى هذا جاء قوله الواضح: "سوف يرضى الإله عملك إذا كنت متواضعا وعاشرت الحكماء" فى إشارة إلى اكتساب التواضع وتعلمه من مجالسة ومعاشرة الحكماء لأنهم أكثر الناس تواضعا.

- وعندما نتأمل أراء "بتاح" فى التواضع سنلاحظ التشابه الكبير بينها وبين ما جاء فى القرآن والحديث من حث على التواضع بهذا المفهوم العملى العام مما يؤكد مدى تأثر الحكم المصرية بأقوال الأنبياء والرسل ومعرفتهم بالأديان السماوية وسبق إيمانهم بالألوهية والوحدانية والتزامهم بالمثل ومكارم الأخلاق وهذا الرأى ذهب إليه العديد من الباحثين والمفكرين من قبل وفى مقدمتهم : دكتور عبد العزيز صالح ، دكتور سليم حسن ، دكتور عبد الرحيم صدقى ، دكتور نديم السيار وغيرهم واستدلوا على ذلك بعدة أدلة:

١. أن التواضع صفة لازمة للأنبياء والرسل والحكماء الصالحين لأنهم الأسوة والمثل فى التواضع والسماحة والصبر والعدل والتحمل.

٢. إن حكم "بتاح" وأقواله فى التواضع ونبذ الغرور والتكبر تتشابه تماما مع ما جاء على لسان الأنبياء والرسل وما جاء فى القرآن الكريم على لسان "لقمان الحكيم" ...... مثال ذلك:

  - قول بتاح لأبنه : ولاتكن متكبرا ولاتكن منتفخ الأوداج.

وهذا شـــبيه لقــول لقمــان لابنـــه : ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾.[لقمـــان ١٨]

فالتشابه التام فـــى المعنـــى والـــهدف والدعــوة إلـــى البعــد عــن التكــبر والتعــاظم والالــتزام بــالتواضع وحســن الخلــق وعلامتــه ألا يعـــرض الإنسان عن أمثاله من البشـــر.

- وقول بتـــاح لابنه : وإذا فاه أخوك بالشـــر فأنصحـــه.

مثــل قــول لقمــان لابنـــه: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾.[لقمـــان ١٧]

فالتشابه قائم فى التنبيـــه علـــى أن التواضـــع لا يعنـــى العزلـــة بـــل يعنـــى المشاركة فى تحقيق الخير والبعد عـــن الشـــر.

- وقول بتـــاح لابنه : أعلـــم أن بيـــت الزانـــى مآلـــه الخـــراب ، وأن كـــل زان لابد أن يكون ممقوتا من الإله لأن ذلـــك مخـــالف للشـــرائع.

وأن من خالف الشرائع والقوانين الإلهية نال شـــر الجـــزاء.

- فهذا يشبه ما جاء فـــى القـــرآن فـــى آيـــات عديـــدة فـــى ســـورة الفرقـــان والممتحنة والإسراء والنور من حث على الخير وابتعـــاد عـــن الشـــرور.

ففى سورة الإسراء جـــاء قولـــه تعـــالى : ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾.[الإســـراء ٣٢]

- وقول بتـــاح لابنه : أسس لنفســـك بيتـــا وأحبـــب زوجتـــك فإنـــها حقـــل طيب ومثمر لســـيدها.

يؤيـــده قـــول الحـــق ســـبحانه وتعـــالى : ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.[البقـــرة ٢٢٣]

- والتواضع فى مقام المشاورة يظهر فى قـــول "بتـــاح" لابنـــه :

"فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها وليس هناك عالم يسيطر على فنه تماما"

وذلك يؤيده قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وشاورهم فى الأمر﴾[آل عمران ١٥٩]

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[الشورى ٣٨]

﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾[يوسف ٧٦]

- والتواضع فى مقام الصداقة : فى قول "بتاح" لابنه: إن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإنه لم يتزحزح منذ يوم خالقه والذى يتخطى نواميسه يعاقب.

وذلك يؤيده قول النبى ﷺ: "إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة".

- والتواضع لا يكون إلا مع التسامح والبعد عن لغو الحديث:

يظهر ذلك فى قول "بتاح" لابنه : لا تكثر من اللغو ولا تسمعه.

وذلك يؤيده قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾[الفرقان ٧٢]

وقوله تعالى : ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [المؤمنون٥٤]

- والتواضع لا يكون إلا مع الالتزام والاحترام وأداء الأمانة.

فيه يقول "بتاح" لابنه : لا تخن من ائتمنك والأمين يؤدى أمانته.

يؤيده قوله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء ٥٨]

يؤيده قوله تعالى: ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه﴾[البقرة ٢٨٣]

وقول النبى ﷺ : "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك".

- **وقول بتـــاح لابنه** : ما على الرسول إلا البلاغ ولكــن بغـير خلـط"

يؤيده قول الحــق سـبحانه وتعـالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[المـائدة ٦٧].

وقوله تعـالى : ﴿ما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[النور ٥٤]

- **وقول "بتـــاح" لابنه** : وليكن للناس نصيب ممــا تملـك فـهذا واجـب على من يكون صفيــا لله".

يؤيده قوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم﴾[المعارج ٢٤،٢٥]

- وقول "بتــــاح" لابنــه : وإذا حكمـت بيـن النـاس فاسـلك طريـق العدل.

يؤيده قوله تعـــالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ﴾ [النسـاء ٥٨]

- **والتواضع عنـد "بتـــاح" لا يتحقـق إلا فـي إطـار الطاعـة ، لأن المتواضع متأدب مع الإله مطيع لإرادتـه وشـرائعه ومـن هنـا كـان حرص "بتـــاح" الدائـم علـى أن يذكـر ابنـه بـأن مـن يخـالف الشرائع الإلهية سيكون ممقوتـا مـن الله وسـينال شـر الجـزاء ، لأن التواضع يستلزم تمام الطاعــة لإرادة الله وحكمتـه.**

- **وفى هذا قـال "بتــــاح"** : مـا أراده الله يتحقـق وأن الجـهول مـن يعترض علـى إرادة الله .

وهذا موافق لما جاء في القرآن الكريم فى آيــات عديـدة تؤكـد حريـة الإرادة الإلهية المطلقة مثل قوله تعالى: ﴿ إن الله يفعل ما يريد ﴾[الحج ١٤]

وقولــه تعــالى : ﴿ وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير﴾[آل عمـران ٢٦]

وهذا موافق لما قاله "بتاح" لابنه : "أن الله يعز من يشاء ويزل من يشاء لأن بيده مقاليد الأمور".

- والتواضع سمة عامة من سمات الصالحين وأدبهم وسماحتهم وصبرهم وعدم غرورهم وامتثالهم لأوامر الله ورعايتهم للحقوق والواجبات واحترامهم لأمثالهم والتزامهم بالعهود والمواثيق وأخلاق الرحمة والعدل والإنصاف. حتى أن المتصوفة أقاموا حياتهم على التواضع ونبذ الكبر والغرور لأنه آفة تحبط العمل.

فتحدث الحارث بن أسد المحاسبى عن الكبر وعلته فقال : الكبر يتشعب من العجب والحقد والحسد والرياء ، وأصل ذلك من جهل معرفة القدر فإذا جهل العبد قدره تكبر"[1]

وأكد هذا المعنى الفضيل بن عياض فقال : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب.

وعرف التواضع بقوله : إن التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله"[2]

- والتواضع عند أبى يزيد البسطامى مقام رفيع لأن الرجل يكون متواضعا إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا فى الخلق من هو شر منه.[3]

- والتواضع عند الغزالى يكون فى البعد عن الكبر والعجب ولا يكون إلا فى التوسط والبعد عن الرذائل فالتواضع عنده هو الوقار.

---

[1] الرعاية للمحاسبى ص ٤٥٠ – ٤٩٠.

[2] الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٤٣٢.

[3] الرسالة القشيرية : ٤٣٣.

- والتواضع لا يكون إلا مع عزة النفس والقدرة على ضبط النفس وتوجيه السلوك وهذا معنى قول الغزالى بأن التواضع رذيلة والكبر رذيلة والوقار فضيلة تتوسطها.

وقال يحيى بن معاذ : "إن التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع".

وهو نفس مقاله ابن المبارك فى أن التواضع هو التكبر على المتكبرين وليس كبرنا على التكبر إلا كبر حسن بالعلة الداعية إليه والحال الموجبة له.

- وهكذا كان التواضع عند المتصوفة اسم جامع لعزة النفس والصبر والحلم لان الحلم ضبط إرادى للانفعال فى مواجهة إساءات الآخرين. وكان التواضع عند رجال الأخلاق صفة لازمة لتحقيق المكانة وحفظ القدر ولا يتحقق إلا بالبعد عن الغرور والتكبر.

وكان التواضع عند "بتاح حوتب" حلم وأدب ودواء لأمراض النفس وشرورها.

- وفى القرآن الكريم كان التواضع فى مقدمة الفضائل التى دعا إلى التمسك والتخلق بها فى جميع الأحوال والأوقات لأن التواضع سمة من سمات المؤمنين وهو الدواء الذى يقى النفس من أمراض الغرور والتكبر ، وهذا المعنى قد أشار إليه الرسول ﷺ فى أحاديث عديدة منها قوله : [من تواضع لله رفعه] ، فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس عظيم ، ومن تكبر وضعه الله فهو فى أعين الناس صغير وفى نفسه كبير".

- وعندما سئل النبى ﷺ : [ما الكبر؟ أجاب : سفه الحق وغمط الناس]

وفى رواية أخرى : [ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس]

في إشارة إلــــى أن المتكــبر مغــرور لا يســتمع للحــق ولا يقبلــه لأن المتكبر مغرور يرى نفسه دائما أكبر مما هو عليــه فــى الواقــع.

وهذا المعنى نفسه قد أشار إليه القرآن الكريم فى آيات عديدة منــــها قولــه تعالى : ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ﴾[النساء ١٧٣]

وقوله تعــالى : ﴿إنه لا يحب المستكبرين ﴾[النحـل ٢٣]

وقولة تعــالى: ﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾[النحـل ٢٩]

وقولــه تعــالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يـروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾ [الأعـراف ١٤٦]

- والتواضــع فــى معنــاه العــام حلـم وليــن ورحمــه مــع ثقــة فــى النفــس ، وصاحبــه يتمــيز بالــهدوء والســماحة والصــدق والأمانــة والبعد عن لغو الحديث ويسعى دائما بـــالخير بيــن النــاس وفــى هــذا كان الحديث النبوى حول علامات التواضــع فــى قــول النبــى ﷺ : [ثلاث هي رأس التواضع أن يبدأ بالسلام من لقيه ويرضى الدون من شرف المجلس ويكره الرياء والسمعة].

وفى حديــث آخــر : [من حلب شاته ورقع قميصه وخصف نعله وواكل خادمه وحمل من سوقه فقد برئ من الكبر].

- وإذا كان الحديث النبوى والخطاب القرآني يؤيــــد مــا قالــه "بتــــاح" فى حكمه فهذا دليل على صـــدق "بتــــاح" وعلــى معرفتــه بــأقوال الرسل والأنبياء السابقين عليـــه ، ولــولا قــول "بتــــاح" إن حكمتــه ليست من ابتداعه وأنها هبه إلهية وأنـــه نقلــها مــن الكتــب الســماوية

وحكم السابقين لما أوردنا هذه المقارنات بين حكمه وبين ما جاء في القران الكريم والحديث.

(٢) فضيلة الحكمة :

وحد "**بتاح حوتب**" بين العلم والحكمة فكان العلم عنده هو الحكمة ، وكانت الحكمة هي الاسم الجامع لجميع الفضائل والقيم ، ومن ثم كانت الحكمة من أهم الفضائل التي تجمع بين النظر والعمل وتتطلب مداومة عمل العقل في تحصيل المعارف.

وقد استطاع "بتاح" أن يحدد وسائل تحصيل الحكمة ومجال استخدامها ومصدرها وماهيتها والغاية منها.

وإذا كان مصدر هذه الحكمة وأصلها هو المصدر الإلهي فان المستفيد الوحيد من هذه الحكمة هو الإنسان في جميع أحواله وأفعاله وذلك لأن الحكمة تكون مع التزام الصدق والحق والتزام العدل وفعل الخير كما تكون من حسن الاستماع والطاعة والحذر من الوقوع في الشر والخطأ.

- أما وسائل تحصيل هذه الحكمة فهي : كمال العقل وتمامه ، وحسن الاستماع عند التعلم ، والرغبة في المعرفة ودوام المشاورة والتزام جانب الحق والصدق دائما.
- **فكمال العقل في قوله** : اتبع لبك (أي عقلك) مادمت حيا ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ، فإن ثروة المرء العظيمة هي عقله ... في إشارة إلى ضرورة المحافظة على العقل وتدريب الذاكرة باستمرار والتزام جانب الاعتدال في جميع الأقوال والأفعال لأن العقل هو ميزان هذه الأفكار والأفعال وهو وسيلة التمييز بينهما وهو الذي يختار أفضلها وأنفعها.
- **وحسن الاستماع كفضيلة** يظهر في قول "بتاح" : إن المستمع هو الذي يحبه الإله ، أما الذي لا يستمع (أي لا يعي ولا يفهم) فإن الإله يبغضه.

وفى قوله : ما أفضل الابن حين يستمع إلى أبيه (حين يعلمه) فإن الابن إذا استمع لأبيه ووعى ما يلقيه عليه والده فإنه لن يخيب في مشروع من مشروعاته وما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه لأنه سيطول عمره من جراء ذلك.

فى إشارة إلى أهمية الاستماع بمعنى الوعى والفهم والالتزام ، فحسن الاستماع يكون مع الرغبة والطاعة والتواضع والاستعداد لتلقى العلوم والمعارف ، فالاستماع يعنى حسن استخدام العقل.

- وحسن الاستماع عند "بتاح" أدب أخلاقى رفيع لا يتحقق إلا بالبعد عن اللغو والتزام أخلاق الصدق وحسن المعاملة فالمستمع لا يكون تلميذا فقط بل قد يكون مسئولا وعندئذ يجب عليه الترفق بمن يحادثه. وفى هذا يقول "بتاح" لابنه "لا تكثر من اللغو ولا تسمعه ، وإذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندما تستمع إلى الشاكى ، ولا تعامله إلا بالحسنى" ، ويقول أيضا "ترفق حين تسمع حديث الشاكى ولا تنهره حتى يفضى بما فى جوفه ويحكى ما جاء من أجله ، فالمتظلم يجب أن يؤمن على قوله حتى ينهى ظلامته. والمهموم قد يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضى له حاجته. ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد.

- ويبين "بتاح" الفائدة العملية والعلمية من الاستماع الحسن للنصائح والحكم وهى زيادة الحكمة وثباتها أى دوامها والوعى بالحقائق وعلو القدر وتحقيق الخير ونشر الوعى بين الجميع وتحقيق المكانة الاجتماعية العالية والنجاح فى العمل وخلود السيرة والسعادة فى الدنيا والبقاء فى الآخرة.

فيقول "بتاح" مؤكدا هذا فى نصائحه : "إذا سمعت هذه النصائح التى ذكرتها لك فأن حكمتك تصير فى تقدم حقيقى ، ومهما تكن فإنها الواسطة للوصول إلى الخير ، وما أحسن ترتيبها فى كل مجال ذكرت فيه من غير تغيير يدخلها فى هذه الدنيا أبد الآبدين ، فهى النسيج الذى يصنع للتحسين وبه يتكلم الإنسان فيتعلم الكلام إذ بعد فهمها يصير أستاذا والذى يكون له

استعداد لسماع هذا الكلام ويصغى إليه ينـــال النجـــاح الـــذى يبلـــغ بـــه الدرجـــة الرفيعة ويضمن له الكمال السرمدى فـــلا شـــئ يهولـــه أبـــدا إذ بـــالعلوم تكـــون إدارته ثابتة ويكون بها فى الدنيـــا ســـعيدا.

- ودوام المشاورة لا يعنـــى الخـــروج عـــن آداب الحديـــث بـــل يعنـــى ضـــرورة الالتزام بصدق المعلومـــات ، والموضوعيـــة فـــى التعبـــير والبعـــد عـــن الظلـــم والافتراء وألا يتسرع فى الحديـــث أو الحكـــم وضـــرورة تحـــرى الصـــدق فـــى جميع الأحوال ومن أجل ذلك نصح "بتـــاح" ابـــنه بوجـــوب الصمـــت عنـــد عدم التأكد من الحق وعدم اللغو فى الحديث حتى لا يحيـــد عـــن الصـــدق وقـــال له "لا تكثر من اللغو ولا تسمعه" وإذا كنت ممـــن يقصدهـــم النـــاس [للمشـــاورة أو الحكم] أو ليقدموا شـــكواهم فكـــن رحيمـــا عندمـــا تســـتمع إلـــى الشـــاكى ولا تعامله إلا بالحســـنى."

- والتزام جانب الحق والصدق فـــى قولـــه : "إن الصـــدق جميـــل وقيمتـــه خـــالدة وإنه لم يتزحزح منذ يوم خلقـــه والـــذى يتخطـــى نواميســـه يعـــاقب وهـــو أمـــام الضال كالطريق المســـتقيم".

ويقول : " حقيقة ان الشر يكسب الثروة ولكـــن قـــوة الصـــدق فـــى إنـــه يمكـــث والرجل المستقيم يقول إنه متاع والدى فى إشـــارة إلـــى اكتســـاب قيمـــة الصـــدق بالوراثة والتعلم معا من الآباء إلى الأبناء وكذا بـــاقى الفضـــائل والقيـــم.

- والقدرة على الإدراك والفهم وحسن الاستماع دليل التعلـــم ودليـــل قـــرب المعلـــم من المتعلم وشرط لنجاح عملية التعلـــم نفســـها وفـــى ذلـــك يقـــول "بتـــاح" : "عليك أن تعلم من يستمع إليك كأنه ابنـــك ، ومـــن ســـيكون ناجحـــا فـــى نظـــر الأمراء هو من يوجه فهمه حيثما يقال لـــه لأن أكـــثر المصـــائب تـــنزل بمـــن لا يستمع".

- أما دوام المشاورة فى قولـــه : "فشـــاور الجـــاهل والعـــاقل لأن نهايـــة العلـــم لا يمكن الوصول إليها ، وليس هناك عالم يسيطر علـــى فنـــه تمامـــا.

فى إشارة إلى عموم المشاورة ومدى الحاجة إليها لأن العلم لا يقف عند حد معين وليس له نهاية ولذا طلب "بتاح" من المعلم أن يشاور الجميع العاقل والجاهل والذكر والأنثى وكل من يمتلك علما ولو بسيطا لأن المشاورة طريق تحصيل العلم والحكمة.

- **والتزام جانب الحق والصدق فى قوله** : "لينطلق قلمك بالحق ولا يخط إلا الصدق بما يفيد الناس ويرضى الإله ، **وما أعظم الحق فإن قيمته خالدة ، فان الحق مثل الطريق السوى أمام الضال**".

- فالقلم عند "بتاح" رمز للعلم والحكمة الخالدة ، والكاتب هو الحكيم الذى يعبر بقلمه خير تعبير عن الصدق والحق ، وهو يؤكد هذا المعنى بقوله : "إن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب أى الحكيم يعيش أبد الدهر".

ويقول : "القلم سلاحك الذى وهبك الإله إياه وخصك به وميز به مكانتك".

ويقول : "إن صوت القلم هو أعلى الأصوات لأنه صوت الحق ، والكتابة حاسة مقدسة يهبها الإله للكاتب لترفعه فوق الناس فيرى مالا يرون ويسمع مالا يسمعون".

- وفى هذا تأكيد على أن الحكمة ليست مجرد أقوال وأفعال ، وليست مجرد صفة أو مثال ، وليست مجرد فضيلة من فضائل الأخلاق ، بل هى منحة إلهية واستعداد نفسى لالتزام جانب الحق والصدق والتعبير عنه وذلك لأن الحكمة عند "بتاح" لا تتوقف على مجرد السماع والصمت أو المشاورة والتعلم بل تتوقف على تحقيق التوازن بين جانبى الحكمة وهما العقل والقلب الذى عبر عنها "بتاح" بلفظ "اللب" وإنه إذا تحقق هذا التوازن نطق قلم الحكيم بالحق والصدق.[1]

---

[1] راجع الفكر المصرى القديم وحكم امحوتب فى :
- الكاتب المصرى : د. سيد كريم ص٩/٢٠.
- الشرق الأدنى القديم جـ١ د. عبد العزيز صالح ص١٤٥ وما بعدها.
- حضارة مصر القديمة جـ١ د. عبد العزيز صالح ص٣٧٨ - ٣٨٠.

(٣) فضيلة الصداقة :

من الفضائل الاجتماعية التى تدعم قيمة الفرد وتحافظ على كيان المجتمع. ويرى "بتاح" أن الصداقة لها متطلباتها الأساسية وفى مقدمتها الصدق والاستقامة والبعد عن الشرور والإخلاص والثقة والتعاون.

وقد استطاع "بتاح حوتب" إدراك العلاقة بين قيمة الصداقة وأثرها الإيجابى على النفس وبين الصداقة وغايتها الأخلاقية فى تحقيق الاستقامة والبعد عن الشر.

وإذا كان **الصدق** قول وفعل وأخبار عن معتقد حق فمجاله الصداقة وغايته تحقيق التآلف والتقارب وتدعيم ثقة المرء بنفسه وغيره. لأن من الصدق تتولد الصداقة الحقيقية ولأنه لا صداقة إلا مع الصدق ولأن الصدق معيار للحكم على الصداقة هذا المعنى ما أكده "بتاح" حين يقول : "إن الصدق جمال للنفس وكمال لها ، وإن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإن الصدق هبة إلهية وقانون سماوى لم يتزحزح منذ يوم خلقه والذى سيتخطى نواميسه يعاقب.

فهو أمام الضال كالطريق المستقيم وأن الخطأ لم يقد مقترفه إلى الشاطئ.

- والصداقة عند "بتاح حوتب" لا تكون إلا مع الاستقامة ، وأن مع الصداقة يكون الخير والفلاح لأن عماد الصداقة الصدق والاستقامة معا. وهو يقول فى هذا : "إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسألنه ولكن اقترب منه وكن معه منفردا" ، وأمتحن قلبه بالمحادثة فإذا أفشى شيئا قد رآه وأتى أمرا تخجل له فعندئذ أحذر منه حتى أن تجاوبه **(أى تقترب منه أو تصادقه)**".
- **والصداقة بهذا المعنى** أساس لصلاح الفرد والمجتمع لأنها تقوم على الصراحة والتعاون والتفاهم ، فالصداقة فى حقيقتها صدق وخير وهى كالطريق المستقيم أمام الضال ، ويقول : حقيقة إن الشر يكسب الثروة ولكن قوة الصدق فى إنه يمكث والرجل المستقيم يقول إنه مفتاح والده فى إشارة إلى أن أفضل ما يرثه الابن عن أبيه هو قول الصدق وحب الصداقة التى تقيه الشرور.

- والصداقة عند "بتاح" لا تكون إلا مع صدق المعاملة والإخلاص والود بين الأصدقاء الذى يظهر واضحا فى كرم الصديق لصديقه ووقوفه معه عند الشدائد والمصائب وأوقات السخط والضيق وهو يوضح هذا **فيقول** : "أشبع لأصدقائك بما جد لك كإنسان نال الحظوة عند الإله **[الحاكم]** ومن الحزم أن تفعل ذلك إذ ليس هناك إنسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد ، فإذا أصابت المقربين مصيبة فان الأصدقاء هم الذين لا يفتأون يقولون مرحبا له فعليك أن تستبقى ودهم لوقت السخط[1] الذى يهدد الإنسان.

- وقد أشار **الدكتور / مصطفى النشار إلى** مدى اهتمام فلاسفة اليونان بقيمة الصداقة وخاصة **أرسطو فى كتابه** : **"الأخلاق إلى نيقوماخوس"** حين تحدث عن أهمية الصداقة ودورها فى بناء الدولة لان الصداقة وسيلة للترابط وقيام دعائم التعاون والتفاهم والإخلاص وكلها لا تقوم إلا مع الصداقة واستشهد بقول **أرسطو** : إن الصداقة عندما تسود بين المواطنين تقوى الدولة ويترابط الأفراد ويسود العدل ، فلو سادت الصداقة بين المواطنين لما احتجنا لتطبيق العدالة.

- كما أشار إلى تمييز أرسطو بين صداقة المنفعة كصداقة وقتية زائلة وبين الصداقة الحقة كقيمة خلقية دائمة ، وتأكيده على أن الصداقة الحقيقة هى التى تكون لذات الصداقة ولا ترتبط بلذة أو منفعة ، لأن الصداقة الحقيقة هى صداقة الخير وهى دائمة". **ويمكن القول** : أن آراء **"بتاح حوتب"** فى فضيلته الصداقة فضلا عن السبق الزمنى فإنها كانت أكثر واقعية ومنطقية من آراء أرسطو إذ تمكن بتاح من بيان الآثار العملية للصداقة ومجالات تطبيقها وكيفية تحققها ولم يكتفى ببيان ماهيتها ، بل مهد إلى بيان فوائدها العملية فى الإطار الاجتماعى وهى فوائد مادية ومعنوية معا وأن هذه الفائدة تدوم مادامت

---

[1] وقت السخط : هو وقت الشدائد والملمات ووقت المرض والضيق ، ووقت الحاجة والعوز.

الصداقة قائمة على الخير والصدق والعدل ، ففى الصداقة منفعة حين الشدة والضيق وحاجة الصديق لصديقه فهى صداقة خير لأنها تقوم على الود والتعاون والكرم الذى يجب أن يتحلى به الصديق دائما لأن ذلك واجب والتزام خلقى........[1]

- ولكى تدوم هذه الصداقة وضع " بتاح " بعض المحاذير أو المعايير حتى تكون هذه الصداقة حقيقة ومفيدة ، فالصداقة تتطلب البعد عن الشرور والآثام ، كما تتطلب إخلاص الصديق للصديق واحترامه والمحافظة على أسراره والبعد عن مفسدات الصداقة التى حددها "بتاح" بقوله : " إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيدا أو أخا أو صاحبا فاحذر القرب من النساء فإن المكان الذى هن فيه ليس بالحسن ، ومن أجل هذا يذهب إلى الهلاك. ومن أجل دوام الصداقة حذر " بتاح " من الاختلاط أو الاقتراب من النساء فى بيوت الأصدقاء لأن ذلك يفسد الصداقة ويورد الهلاك أو الموت وهو يؤكد هذا فيقول : "إذ أن ألف رجل قد يذهب بسبب متعه برهة قصيرة تضيع كالحلم ولا يجنى الإنسان من معرفتهم غير الموت[2].

(٤) فضيلة الاعتدال :

الاعتدال لغة هو التوسط وفى الاصطلاح هو العفة وعدم التحيز لهوى أو لفئة دون أخرى.

---

[1] د. مصطفى النشار : مجلة الجمعية الفلسفية المصرية – العدد الأول ١٩٩٢.

[2] راجع فى ذلك ما ذكره كل من :

- جيمس همزى برستيد فى : فجر الضمير (ترجمة) ، ص ١٤٨.
- د. سليم حسن فى : مصر القديمة جـ ١ ص ٤٢٢ – ٢٢٣.
- د. أميرة حلمى مطرفى : الفلسفة عند اليونان ، ص ٣٣٧.
- السيد أبو ضيف المدنى : الأخلاق فى الأديان السماوية – دار الشروق ط ١٩٨٨ ، ص٨٠.
- د. مصطفى النشار : مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد الأول – ص ١٩٩.

والاعتدال شرعا هو العدل الذى أمرنا الله به فى قوله ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة ٨]

وقوله تعالى : ﴿ان الله يامر بالعدل والإحسان﴾ [النحل ٩٠]

وقوله تعالى : ﴿وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل﴾[النساء ٥٨]

وقوله تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ [الأنعام ١٥٢].

والاعتدال عند بتاح حوتب هو ضبط النفس وعدم الإسراف ويتحقق الاعتدال بالبعد عن الشراهة وهو الطمع والإقبال على الدنيا وحب الذات..

- وتظهر أهمية فضيلة الاعتدال عند الفلاسفة ورجال الأخلاق والمتصوفة كذلك. فكان الاعتدال عند "هيراقليط" هو ضبط النفس "ولا يؤديه سوى النفس الجافة البعيدة عن الشراهة والشهوة وهى الأحكم والأفضل. ونفس المعنى هو الذى أشار إليه بتاح من قبل "هيراقليط" بألفى عام حين أكد على أن الاعتدال يكون فى ضبط النفس وعدم الإسراف ، فالاعتدال نظام تمارسه النفس لخيرها ، ولا يكون الاعتدال عند بتاح إلا فى البعد عن الشراهة والطمع ، فالشراهة من أكبر القبائح وأخطر الأمراض التى تصيب النفس. وقد عبر بتاح صراحة عن ذلك بقوله : " **إذا أردت أن يكون خلقك محمودا وأن تحرر نفسك مما هو قبيح فأحذر الشراهة فإنها مرض مملوء بالداء ولا شفاء له**" والصداقة معها مستحلية فإنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عن سيده وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته وهى (أى الشراهة) حزمة من كل أنواع الشر وحقيبة من كل شئ مرذول ، وأن الرجل الذى يتبع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصراط السوى يعيش طويلا ويكسب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر له.

- ويحدد بتاح مجال ممارسة الاعتدال كقيمة خلقية يجب أن يتحلى بها المرء فى جميع شئونه ومعاملاته وأمور حياته اليومية فى بيته ومع أهله وأسرته وأقاربه وأصدقائه بحيث يتحول الاعتدال إلى منهج حياة للحفاظ على نفس الفرد والأسرة والعلاقة الطيبة مع الصديق والرئيس والزوجة والأبناء

والأمهات والأخوال. ولكى يتحقق ذلك عمليا نصح بتاح ابنه بذلك فقال له :

"ولا تكونن شرها فى القسمة (أى معتدلا فى طلبك للحق)."

"ولا تكونن ملحا إلا فى حقك (فلا تتطلب غيره ولا أزيد منه)."

"ولا تطمعن فى مال أقاربك ، فإن القليل الذى اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين."

"فى إشارة واضحة إلى أن الشراهة تبعد عن الاعتدال وتظهر فى الإلحاح والطمع وأكل الحقوق والأموال وتورث البغضاء والحقد والكراهية بين الأهل والإخوان والأصدقاء".

- وكان الاعتدال عند "سقراط وأفلاطون" فى معرفة النفس وقواها والتحكم فى أهوائها ومعرفة ما يناسبها ، ولا يتم ذلك إلا بالعقل الذى يدرك جوهر النفس ويقودها إلى الحق والخير والصدق ، فإذا تم الإدراك هذا كان ضبط النفس لأن النفس أدركت الخير ففعلته وابتعدت عن الشر والظلم وعرفت الصدق فلم تكذب ولم تجبن.

* وإذا تأملنا أقوال بتاح فى فضيلة الاعتدال نرى تطابقا فى معنى الاعتدال كضبط للنفس وبعد عن الشراهة ، فإذا كان أفلاطون يرى الاعتدال فى تحلى النفس البغيضة بفضيلة العفة وأن تتحلى النفس البغيضة بفضيلة الشجاعة وأن تتحلى النفس العاقلة بفضيلة الحكمة ، فإن "بتاح" دعا إلى استخدام العقل لتحقيق الاعتدال وضبط النفس والبعد عن الشراهة فقال "اتبع لبك" أى اتبع عقلك الواعى المفكر لأنه الحكم العدل وضابط شهوات النفس ، فالعقل عند "بتاح" هو الذى يحقق الاعتدال والتوسط.

- والاعتدال عند "بتاح" يعنى تحقق العدالة والتزام جانب الخير والنظام والعدالة تتحقق مع الالتزام بالحق والصدق والذى بهما يتحقق كمال النفس وعلاج كل نقص أو مرض من أمراض النفس والهوى كالغش والكذب والغرور والتعالى. ولهذا حرص "بتاح" على بيان كيفية تحقق العدالة :

- والعدالة تتحقق مع الاستقامة والصدق فيقول "بتاح" "إن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإنه لم يتزحزح منذ يوم خالقه ، والذى يتخطى نواميسه يعاقب ، وهو أمام الضال كالطريق المستقيم "

- والعدالة تتحقق مع الحرص على هدوء النفس والبعد عن الانفعال ، وهذا الحرص هو الذى يدفع الفرد إلى أن يدقق فى اختيار مناسبات صمته ومناسبات كلامه حتى يراعى التوسط فى معاملاته ومطالب بدنه ، فالعدل تكافؤ ومساواة وعدم تحيز وبعد عن الإسراف أو التطرف فى القول أو الفعل بجميع أنواعه سواء كان هذا الفعل جادا أو مرحا أو لهوا وهذا هو الاعتدال المطلوب والذى يحققه تحكيم العقل وتحقيق التوازن ورغبات القلب والهوى دون تفريط أو إفراط ، ولذا كان نداء "بتاح" إلى استخدام العقل لتحقيق الاعتدال فقال : **"اتبع لبك مادمت حيا ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ولا تنقص من الوقت الذى تتبع فيه قلبك ، ولا تشغلن نفسك يوميا بغير ما يتطلبه بيتك** وعندما يؤتيك الثراء متع نفسك لأن الثراء لا تتم فائدته إذا كان صاحبه معذبا".[1]

(٥) فضيلة التسامح:

التسامح فى اللغة يعنى العفو والرضا والتساهل أو المسالمة ، وعرف فى الاصطلاح بمعنى الموافقة على رأى مع إظهار القناعة والفهم دون معارضة ، وفى المعنى العام عرف التسامح بأنه العفو عند المقدرة ، والصفح .

والتسامح عند "بتاح حوتب" اسم مشتق من السماحة الظاهر فى بشاشة الوجه وأمان النفس ، وعندما طالب "بتاح" ابنه بالتسامح قال له : **"وكن سمح الوجه مادمت حيا ، فان ما يخرج من الشونة لا يعود فيدخلها "** ولم يكتف "بتاح" بالدعوة إلى التسامح كفضيلة أخلاقية يجب أن يتحلى بها المرء لتكمل

---

(١) - د . مصطفى النشار : المجلة الفلسفية : ٢١٣ - ٢١٤ .
- د . سليم حسن : مصر القديمة : ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

صفاته وتكثر حسناته وينجح فى مختلف أمور حياتـــه بـل حـرص علـى بيـان حقيقـة التسامح وأهميته ومجالات ممارســــته.

أ) حقيقة التسامح عند "بتـاح حوتـب" فى صفات أربعة هى :

المسالمة - والإخلاص - والتواضع - والرحمة.

وهو ما يظهر فـى ليـن المعاملـة أو المعاملـة بالحسـنى ذلـك لأن التسـامح يجـب أن يبـدأ بالمسـالمة ، والمسـالمة كسـلوك سـلمى يجـب أن يتصـف بـالخير والتواضع والرحمة. ولتأكيد هـذه المعـانى قـال "بتـــاح" لابنـه: "إذا كنـت ممـن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندمـا تسـتمع إلـى الشـاكى ولا تعاملـه إلا بالحسـنى".

ولأن التسامح من دوافع الرحمة والعدل والمسالمة والبعـد عـن العنـف حـذر بتاح ابنه من مخاطر التخلـى عـن التسـامح ودعـاه إلـى التمسـك بفضيلـة التسامح فقال له : لا توقع الفزع فى قلوب البشر لئـلا يضربـك الإلـه بعصـا انتقامه". وقال له أيضا : "ساير نفسك ما حييـت ، ولكـن لا تتجـاوز العـرف" فى إشارة إلى أن التسامح لا يعنى الخروج عـن العـرف والتقـاليد . بـل هـو فى حقيقته التزام أخلاقى وسلوك إنسانى رفيع وهذا ما بينـه بتـاح لابنـه حيـن قال له : لا تتشاجر مع أى شخص عظيمـا كـان أو بسـيطا فـان ذلـك أمـر كريه فلم يحدث أبدا أن عمل السوء يوصل صاحبه سـالما إلـى مأمنـه .

(ب) مجـالات التسـامـح :

حدد "بتـاح" ثلاثة مجـالات للتسـامح هـى المجـال الاجتمـاعى والمجـال الوظيفى ومجال التعلـم.

ففـى المجـال الاجتمـاعى :

يظهر التسامح عند تطبيـق مبـدأ العـدل الاجتمـاعى فـى الإطـار الأسـرى سواء بين الزوج والزوجـة أو الوالـد وأبنائـه أو الأخـوة والجـيران . حيـث يتحقـق التسامح فى مظاهر الطاعة والحب والود وحسن الاسـتماع والـود مـن الأبنـاء للآبـاء

وطاعتهم ، وقد عبر بتاح[1]عن ذلك بقوله : "إن الابن المستمع المطيع يحبه الإله ، والكلام الطيب هدية من الله".

كما يظهر فى مسامحة الزوج لزوجته وإظهار الود والرحمة والشفقة بها وحسن الإنفاق عليها وتلبية احتياجاتها ، ولذا نصح بتاح ابنه بالتسامح الدائم مع زوجته فقال له : إذا تزوجت امرأة فلا تعنفها بل دعها منشرحة الصدر أكثر من نساء بلدها ... إذا كنت شخصا عاقلا فأحبب زوجتك التى تعيش فى منزلك بصدق وأمانة ، وقدم لها أطيب الطعام وأكسها بأفضل الكساء وقدم لها أزكى العطور وأدخل السرور إلى قلبها طيلة حياتها".

والتسامح عند "بتاح" لا يتوقف عند حسن معاملة الزوج لزوجته أو الابن لأبيه بل يتعدى إلى حدود الجيران والأصدقاء ، فالمتسامح يجب أن يبتعد عن القسوة والعنف ويجب أن يصفح عن هفوات الجيران وخطأهم ، وهذا ما طلبه بتاح حين قال : "لا تكن سيئ الخلق مع جيرانك ، والصفح عن السفيه خير من القسوة ، فإن أخطأ الزعلان فى حق جيرانه لا يدرك كيف يوجه كلامه (دليل الغضب والحزن أو الشعور بالندم) وبدل من أن تكون الإساءة قليلة سينشأ عنها الكدر مكان الصفو".

والتسامح يجب أن يكون مع جميع الأهل وحسن معاملتهم ، وهذا ما نبه إليه بتاح حين قال :أحسن العمل مع أهلك كما يناسب لأن هذا فعل يفضله الإله ومن قصر فى حسن العمل مع أهله يقال عنه إنه رجل ملعون .

وفى المجال الوظيفى :

يجب أن يسود التسامح بين الرئيس والمرؤوس لأن التسامح سيساهم فى إنجاز الأعمال ، فالتسامح هنا يظهر فى حسن الاستجابة من الرئيس وطاعة المرؤوس. ومن أجل ذلك طالب بتاح بالتسامح الظاهر فى رفق المعاملة والتأدب

---

[1] بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة - د . مصطفى النشار - مجلة الجمعية الفلسفية العدد (١) -يونيو ١٩٩٢ م - ص ٢٨١ - ٢٨٣ .

عند التخاطب وسعة الصدر ومواساة أصحاب الحاجات والشكاوى والمظلومين من المرؤوسين. **فقال** : "ترفق حين تسمع إلى حديث الشاكى حتى يقضى بما فى جوفه ويحكى ما جاء من أجله ، فالمتظلم يجب أن يؤمن السامع على قوله حتى ينهى كلامه والمهموم قد يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضى له حاجاته ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد .

- كما دعى بتاح إلى حسن المعاملة والشفقة مع أصحاب الحاجات فهم أحوج الناس إلى التسامح والصفح . **فقال لابنه** : إذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوى فكن شفيقا حين تسمع كلام المتظلم ولا تسئ معاملته إلى أن يغسل بطنه وإلى أن يقول ما قد جاء من أجله ، وأن المتظلم يحب كثيرا أن يهز الإنسان رأسه إلى كلامه وأن مجلسا حسنا يسر القلب" الخ...

(وواضح من مقابلة النصين إنه مجرد تعدد فى الترجمة لنص واحد لأقوال بتاح حوتب).

وفى مجال التعلم :

دعى بتاح إلى التسامح مع المتعلم ، فالتسامح شرط لحصول التعلم **فقال** : "عليك أن تعلم من يستمع إليك كأنه ابنك "ولا تكن متكبرا ولا تكونن منتفخ الأوداج وإذا فاه أخوك بالشر فانصحه ولا تتعالى لأنك رجل عالم ".

(هـ) أهمية التسامح :

كما حدد بتاح أهمية التسامح كفضيلة عملية لها أهميتها للفرد والمجتمع فى تحقيق الرضا والقناعة وأمان النفس وكف الغضب عن الآخرين وحسن المعاملة للجيران فقال : "إذا غضبت ولا دواء لذلك أو كنت معنفا من قبل أحد فصد عنه بوجهك (أى سامحه) ولا تفكر فيه حتى يكف الكلام عنك" . فى إشارة إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾[فصلت ٣٤]

- والتسامح عامل من عوامل تقوية الروابط الاجتماعية داخل الأسرة وتحقيق الأمن النفسى وفى ذلك **يقول** بتاح : "والمهموم قد يفضل أن يواسيه

السامع ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد .. والمجلس الحسن يريح القلب.

- ومن فوائد التسامح التي أشار إليها "بتاح" أن يشفي النفس من أمراضها التي لا دواء لها كالغرور والتكبر ولذا فالتسامح وحده هو الذي يعود النفس على العطاء والتواضع ولذا كانت نصائح بتاح إلى التسامح فقال "إن مهموم النفس طوال يومه لن يصيب لنفسه فترة هنيئة ومكشوف النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارا سعيدة ومن أطاع بدنه كان عدوا لنفسه".

- ولأن التسامح يحقق التواضع ويبعد عن الغرور حرص "بتاح" أن يذكر ابنه دائما بأوقات الشدة والحاجة والفقر قبل الغنى والثروة ليكون دائما متسامحا ومعطاءا لأصحاب الحاجات فقال له : "إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القدر وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا فلا تنسين كيف كانت حالتك في الزمن الماضي".

ومن أهمية "التسامح" أيضا أنه يشفي النفس من مرض الشراهة والطمع العضال بل هو الذي يحقق التواضع والاعتدال. وفي ذلك قال بتاح **"ولا تكونن شرها في القسمة ، ولا تكونن ملحا إلا في حقك ولا تطمعن في مال أقاربك فإن القليل الذي اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين".**

(٦) فضيلة الصمت :

يعتبر الصمت من الفضائل الاجتماعية كالتواضع والصدق والاعتدال والتسامح ، وقد أثار انتباه العديد من رجال الأخلاق والدين وخاصة بعد أن أشار إلى أهميته القرآن الكريم والحديث النبوي ، حيث ارتبط بالقول والتعبير عن الرأي أحيانا كما ارتبط بالطاعة والسمع والتأدب أحيانا والتعبير عن الحكمة والفهم أحيانا أخرى.

ففى سورة الإسراء جاء لزوم الصمت للتعبير عن طاعة الوالدين والرحمة بهما فى قوله تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ۝ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾[الإسراء ٢٣ ، ٢٤]

- أما فى الحديث النبوى الشريف : "فقد جاء الصمت للدلالة على قوة الإرادة والفهم والعلم بحقيقة الأمور وتقدير متى يجب الكلام ومتى يجب الصمت وهذا هو صمت الحكمة وعندها يكون فضيلة . وهذا ما دعى إليه النبى ﷺ حين قال : [عليكم بقلة الكلام ، فإنك ما كنت ساكتا فأنت سالم فإذا تكلمت فلك أو عليك].

ويقول أيضا: [الصمت حكمه وقليل فاعله][1]

- وعند بتاح حوتب جاء الصمت بمعنى الحذر الذكى المطلوب عند حسن الاستماع كما جاء للدلالة على التواضع والاحترام كما جاء للدلالة على عزة النفس وعلو القدر وتمام الفهم .

فالصمت عنده فضيلة لازمة عند السماع وفيه يقول : ما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه لأنه سيطول عمره من جراء ذلك ، ولأن من يستمع يظل محبوبا من الإله.

والصمت حكمة لازمة عند الشعور بالخطر والحذر من الوقوع فى الخطأ ولهذا حرص "بتاح" تنبيه ابنه إلى ذلك فقال له : "عليك الالتزام بالحذر فى حضرة العظماء".

وعليك باحترام الرئيس طبقا لما وصل إليه دون النظر إلى أصله قبل رئاسته لأن الثمرة لا تأتى عفوا : وعليك بالتحلى بالصمت أمام الرئيس

---

(1) الفضائل الخلقية فى الإسلام : د . أحمد عبد الرحمن إبراهيم - ص٢٤٥ - ٢٤٧.

ولا تتكلم إلا بعلم وحين تسجل المعضلات ، لأن صناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى.

- وهكذا قدم "بتاح حوتب" بعض مبررات الصمت منها صعوبة الكلام بمعنى صعوبة التعبير والرغبة فى البعد عن اللغو وإبداء الاحترام للعظماء والبعد عن ضرر الآخرين وإظهار عزة النفس وإخفاء الحكمة والحفاظ على المعرفة وبقائها.

وجاءت عباراته واضحة للتدليل على هذه المعانى حين قال : "لا تكثر من اللغو ولا تسمعه".

"إذا وجدت خطيبا فى زمانك سليم العقل أمهر منك فأثن له ذراعك وأحنى له ظهرك ، أما إذا تكلم جهرا فلا تقصرن حينئذ فى مقاومته حتى ينادى به فى الناس أنت إنسان جاهل . ولكن إذا كان مماثلا لك فأظهر بصمتك إنك أفضل منه إذا أخطأ فى الكلام وعندئذ سيمدحه السامعون ولكن اسمك سيعتبر حسنا بين العظماء".

- والصمت عند "بتاح حوتب" ضرورة للتعبير عن الحكمة والخلود لأن صمت الحكمة أفضل من الكلام وتعليل ذلك عند بتاح أن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيش أبد الدهر".

وفى الصمت عزة النفس وعلو القدر وفى ذلك يقول "بتاح" : عزة النفس هى أن تزكو سمعتك بغير أن تتكلم ويطريك الناس من حيث لا تعلم ولقد عزت نفوس إتباع الإله وحده".

وظلت فضيلة الصمت مثار الجدل والحوار عند رجال الدين والأخلاق فمنهم من ذم الصمت وأعتبره رذيلة ومنهم من جعله قمة للفضائل وحسن الخلق.

فالصمت فضيلة مرغوبة عندما يكون هو الكف عن الكلام الخاطئ . وعند تجنب زلات اللسان وعند الحذر من الخطأ والكف عن الأذى عن الآخرين

وهذا هو النوع الذى وصفه النبى ﷺ كوقاية من المخاطر حين قال: "إنك ما كنت ساكتا فأنت سالم فإذا تكلمت فلك أو عليك". والصمت لازم عندما يكون الكلام مزموم وعند لغو الكلام وعند العجز عن معرفة وجوب الصواب من الأمر وهذا ما يقصده الشرع من قوله تعالى : ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾[1]

ووصف القشيرى فى رسالته مدى إيثار الصالحين للصمت عند خشية آفات الكلام فيلزم الصمت تجنبا لتلك الآفات .

ويعلل القشيرى لزوم الصمت عندهم بقوله : "فلما علموا ما فى الكلام من الآفات ثم ما فيه من خطر النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز المتكلم بين أشكاله بحسن النطق لذموا الصمت وقدموه على الكلام"[2]

.

وكان الإمام الغزالى من المؤيدين للصمت كفضيلة أخلاقية وأستدل على ذلك بقوله : إن ثلاثة أرباع الكلام يجب تركها والربع الأخير فيه خطر إذ يمتزج بما فيه من إثم من رقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا[3].

والصمت عند الغزالى مقدم على الكلام ولازم لتزكية النفس وإكمالها وشفائها من كل نقص وآفة وهو يقول :"أعلم إن كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات.

---

[1] المؤمنون : (٣).

[2] الرسالة للقشيرى حـ ١ ص ٣٧٨.

[3] أحياء علوم الدين للإمام الغزالى حـ ٣ ص ١٤١.

فهذه آفات كثيرة وهى سباقة إلى اللسان لا تـثـقـل عليـه ولـها حـلاوة فـى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشـيطان والخـائض فيـها قلمـا يقـدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عمـا لا يجـب[1]

ورغم ما للصمت من فوائد أخلاقية واجتماعية ومـا فيـه مـن حكمـة وتسـامح وتواضع وخير فإن الكثيرين يذمـون الصمـت ويعتبرونـه رذيلـة وقـالوا: "إن الصمت يذم عند السكوت عـن الحـق ، والصـامت يـأثم إذا لاذ بـالصمت إزاء الكذب والتضليل والجور علـى الحقيقـة والصمـت يـذم أيضـا عنـد وجـوب الكلمة الطيبة وعند الصدق والشهادة واسـتدل أصحـاب هـذا الـرأى بـالحديث النبوى: "**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقـى لـها بـالا يرفعـه الله بها درجـات**".

ويقول النبـى ﷺ أيضـا : [إن من أفضل الأعمال كلمة حق تقال عند سلطان جائر].

وقولـه ﷺ : [من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس].

وكانت هذه الأدلة كافية لقولهم بأن الصمت رذيلـة عندمـا يكـون سـكوت عـن الحق ورأى **بعض فقهاء** الكـلام أن الصمـت فضيلـة محـدودة القيمـة أو هـو فضيلة مرذولة وغير محببة وذم بعضهم الصمـت فقـال :

- **الإمام الشاطبى فى الاعتصام** : "إن القول بان الصمـت فـى ذاتـه عبـادة فذلـك القول هو من البدعـة".
- **وقال الراغب الأصبهانى فى الذريعة** : "إن الصمـت مـن حيـث هـو الصمـت مذموم فذلك من صفات الجمـادات".
- **وقال الأحنـف بـن قيـس** : " النطـق أفضـل لأن فضـل الصمـت لا يعـود صاحبه ، والمنطق الحسن ينتفع به مـن سـمعه".

---

[1] الأحياء جـ ٣ وفى الفضائل الخلقية فى الإسلام ص ٢٤٦.

- وقال السفارينى فى غذاء الألباب : "والمعتمد أن الكلام أفضل لأنه من باب التحلية والسكوت من التخلية ، أفضل لأن المتكلم حصل له ما حصل للساكت وزيادة وذلك أن غاية ما يحصل للساكت السلامة ، وهى حاصلة لمن يتكلم بالخير مع ثواب الخير.[1]

تقييم فلسفة "بتاح حوتب" :

- قدم الدكتور عبد العزيز صالح فى الجزء الأول من كتابه : "الشرق الأدنى القديم" تقييما لفكر "بتاح حوتب" ضمن الإطار العام للحضارة المصرية القديمة ، وذهب إلى أن "بتاح حوتب" قدم فكرا فلسفيا ومنهجا تربويا فى كيفية بناء الأسرة المتماسكة وعوامل بناء المجتمع السليم وما يجب أن تكون عليه الأسرة والفرد كأساس فى هذا البناء ورأى أن ما قدمه "بتاح" من حكم ونصائح هو خلاصة الخبرات والتجارب والحكم والعادات المتوارثة والمستمدة من تراث كبار الحكماء والأدباء وكذلك الرسل والأنبياء السابقين عليه.

كما أشار إلى مدى اهتمام "بتاح" ببيان مكونات الشخصية السوية والتنبيه إلى أهمية الجانب النفسى والانفعالى فى إحداث التوازن فى الشخصية وتحقيق الرضا والشعور بالسعادة ، وكيف كان "بتاح" يقدم الجانب المعنوى على الجوانب الحسية والمادية المكونة للشخصية.

وقد استدل الدكتور / عبد العزيز صالح على رأيه ببعض حكم "بتاح حوتب" منها "ساير نفسك ما حييت ولكن لا تتجاوز العرف ، وإياك أن

[1] راجع : الفضائل الخلقية فى الإسلام : د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم – دار الوفاء طبعة أولى ١٩٨٩ (ص ٢٤٥ / ٢٤٨)

- أحياء علوم الدين : للإمام أبو حامد الغزالى جـ ٣ ص ١٤١.
- غذاء الألباب للسفارينى ص ٧٢ ، الذريعة للراغب الأصبهانى ص ١٠٢-١٠٣.
- وفى الاعتصام للشاطبى.

تبتر ساعة المتعة فالنفس تأبى أن يفسد وقت متعتها وعندما يواتيك الثراء ينبغى أن يستمع القلب ، فلن يجدى الثراء إذا أهمل القلب.

وكن سمح الوجه ما دمت حيا فإن ما يخرج من الشونة لن يعود فيدخلها واستدل على اهتمام "**بتاح حوتب**" بالأسرة وما يجب أن تكون عليه علاقة الزوج بالزوجة من رعاية واهتمام وحب بقول "بتاح" لابنه "إذا أصبحت كفئا كون أسرتك وأحبب زوجتك فى حدود العرف ، وعاملها بما يجب أن تستحق ، فأشبع جوفها وأستر ظهرها وعطر بشرتها بالدهن ، وأسعدها ما حييت ، فالمرأة حقل نافع إلى آمرها "**ولى أمرها**" ولا تتهمها عن سوء ظن وامتدحها تأمن شرها فإذا نفرت راقبها واستمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة فى دارها.(١)

- وقد أشار الدكتور سليم حسن فى الجزء الأول من كتابه "الأدب المصرى القديم" إلى أهمية حكم "**بتاح حوتب**" فى يقظة الوعى المصرى.

وأكد على أن مواعظ "بتاح" وحكمه التى ظلت منارة يستضاء بها فى معايير الأخلاق ، وأن هذه النصائح والآراء فى الدين و الأخلاق بقيت حكمها آلاف السنين كإرشادات وتعاليم دالة على الحكمة وداعية لحسن الخلق ، وقد أعتز بها المصريون فى جميع عصورهم.(٢)

- **وعن أهمية حكم** "بتاح حوتب" فى بيان وحدانية الله وقدرته وإرادته ذكر الدكتور أحمد فخرى فى كتابه "***مصر الفرعونية***" إن هذا الحكيم كان من كبار الموحدين الذين تحدثوا عن وحدانية الإله وصفاته وعموم قدرته فى الخلق والرزق والحساب ، واستدل الدكتور فخرى على ذلك ببعض أراء "بتاح حوتب" وحكمه منها قوله "***بيد الله مصير كل حى وأن تدبير الخلق بيد الله الذى يحب خلقه***"

---

(١) الشرق الأدنى القديم : جـ ١ د. عبد العزيز صالح ، ص٣٨٧-٣٨٩.

(٢) الأدب المصرى القديم : جـ ١ د. سليم حسن ، ص١٨٦.

- إن الله يعز من يشاء ويذل من يشـــاء "لأن بيـده مقـاليد الأمـور وأنـه مـن العبث التعـرض لإرادة الله.

إن الإله وحده الذى يقدر الفلاح والنجـاح وإن مـا أراده الله يتحقـق[1]

- وأشار الدكتور نديم السـيار فـى كتابـه : "قدمـاء المصريين أول الموحديـن إن "بتـاح حـوتـب" كان مـن أوائـل حكمـاء مصـر القديمـة الذيـن ظـهرت صفات الله واضحة فى آرائهم ، وإن ما ذكره عن هـذه الصفـات يـدل علـى مـدى إيمانه بالإله الواحد وتأثره بالنبوات وأستدل الدكتور نديـم السـيار علـى رأيـه بـأن حكم "بتـاح" قد جاء فيها اسم الله بصيغة الفرد وليس هنـاك لفـظ للجمـع لكلمـة أرباب أو آلهة مما يدل على إنه يخاطب موحدين كذلـك فـإن تشـابه حكـم "بتـاح حوتب" مع ما جاء من حكم ومواعظ فـى مصـر القديمـة وأن "بتـاح" كـان مـن المؤمنين الموحدين بالله وهو الرأى الذى أثبتته وأشـار إليـه العديـد مـن البـاحثين فى الفكر المصرى القديـم.[2]

- وقدم الدكتور مصطفـى النشـار فـى بحثـه بعنـوان : "بتـاح حـوتـب رائد الفكر الأخلاقـى فـى مصـر القديمـة تقيمـا شـاملا لحكـم بتـاح وآراءه الأخلاقية وأنتقد موقف بتـاح مـن مفـهوم العدالـة وتعـامل الفـرد مـع الإدارة والرؤساء": ورأى أن بتـاح كـان داعيـا إلـى نـوع مـن الأخـلاق العمليـة المعبرة عن القيم المصريـة التـى سـادت عصـر الدولـة القديمـة ، وأن جوهـر الحكمة عنده كـان فـى الالـتزام بالنظـام والعدالـة .. " مـاعت (MAAT) علـى أساس ضبط النفـس.

وأن بتـاح قد نجح فى توثيق الروابـط الاجتماعيـة بدعوتـه لنـبز الشـراهة وتدعيم قيم الحب المتبادلة داخل كيـان الأسـرة.

---

[1] مصر الفرعونية – د. أحمد فخرى – ص ١٣٨.

[2] القدماء المصريين أول الموحدين – جـ ١ – دكتور نديم السيار – ص ١٥٨ – ١٦١.

ووافق الدكتور النشار ما ذهب إليه جون ويلسون وتوملين في كتابه "فلاسفة الشرق" من أن أراء بتاح قد بلغت حدا من النضج وأنه تميز بالفكر الثاقب والرأى السديد وفهمه العميق للأمور الدنيوية المقررة في آن واحد.

وذهب الدكتور النشار إلى أن "بتاح حوتب" كان صاحب دعوة أصيلة توحد بين المنفعة والفضيلة ، وهي دعوة سابقة على أصحاب المذاهب النفعية فى الأخلاق سواء عند السوفسطائيين أو بعض المحدثين من أصحاب المذاهب الأخلاقية الغربية. سواء أصحاب مذهب المنفعة الفردية لدى توماس هوبز أو أصحاب المنفعة العامة لدى جون ستيوارت وإتباعها فى العصر الحديث.

والتى تغلب عليها طابع الثقة بالنفس والاطمئنان إلى المستقبل وحب التقدم إلى الأمام. .

وأن بتاح كان مفكرا من طراز فريد فى تلك الفترة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. وأن آراؤه قد تميزت بالنزعة الانفرادية المليئة بالحركة . ورأى الدكتور النشار أن فكر بتاح الأخلاقى كان يعكس واقعه السياسى والاجتماعى حيث تسلط الإدارات والرؤساء ، وانتقد موقف بتاح حين طالب ابنه بالتساهل مع هذا التسلط حرصا على المنصب والوظيفة والراتب...[1]

كما أنتقد اقتصار بتاح على المقاومة السلبية للظلم رغم موافقته لما ذهب إليه جيمس هنرى برستيد فى كتابه "فجر الضمير" الذى قال : وليس من

---

[1] بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد (١) د. مصطفى النشار ص ٢٨٣ - ٢٨٩. وراجع كذلك آراء كل من الدكتور ... ثروت عكاشة فى كتابه الفن المصرى القديم حـ ١ ص ٢٦٤ ، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، والدكتور أنطون ذكرى فى كتابه : الأدب والدين عند القدماء المصريين ص٦٤ ، وهنرى توماس فى كتابه : أعلام الفلاسفة ص٧ فرانسوا دوماس فى كتابه آلهه مصر ص١١٩ ، وما جاء فى موسوعة تاريخ الجنس العربى حـ٢ ص٣١٤.

شك أن هذه الشفقة من المسئول وسماعه شكوى الموظف والمظلوم ذات علاقة وطيدة بالمعاملة الحسنة المبنية على الحق والعدالة والتى أخذت مكانة سامية فى فكر بتاح الأخلاقى والسياسى.

- ويمكن أن نتساءل هنا : أليس ما يدعو إليه "بتاح" من حسن المعاملة والتسامح فى العمل بين الرئيس والمرؤوس هو ما تنادى به المؤسسات الاجتماعية الآن ، وما تقوم عليه مبادئ علم الإدارة الحديث .

ونتساءل أيضا هل دعوة بتاح للتسامح والتراحم والاعتدال والحب هو من جانب الضعف أم من جانب القدرة والقوة ؟ وهل قيام العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية على حسن المعاملة والطاعة ضعف أم إنه عمل إيجابى مطلوب ومبدأ يجب أن يسود داخل إطار العمل لتدوم العلاقة وتقوى الروابط ويزيد الإنتاج ويتحقق الرضا والنجاح فى العمل ؟

وبعد هذه التساؤلات يمكن أن نقرر أن بتاح حوتب قد نجح بالعقل والتجربة فى تصوير ما يجب أن تكون عليه علاقة الرئيس بالمرؤوس والموظف العام بالمواطن أو المرؤوس ، كما نجح أيضا فى تصوير العلاقة بين الفرد وزميله والزوج مع زوجته والإنسان مع جيرانه وباقى أفراد مجتمعه.

وهو ما سبق أن أثبتناه عند عرض الفضائل الأخلاقية والاجتماعية عند "بتاح" . ولا شك أن ما ذهب إليه الدكتور النشار حول أهمية حكم "بتاح حوتب" فى الأدب المصرى القديم وبناء الفكر الأخلاقى على دعائم الخير والعدالة واعتماد المصريين على هذه الآراء لفترات طويلة من عصورهم لدرجة إنها كانت منهجا للحياة وجزءا من الحكمة المقدسة فى مصر القديمة فهذا رأى يوافقه الجميع عليه(١).

---

(١) بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة – د. مصطفى النشار – بحث فى مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد (١) يونيو ١٩٩٢م – ص ٢٨٠-٢٩٠.

حكم بتاح حوتب :

وجدت نصوص هذه الحكم فى بردية مكونة من عدة لفائف من أوراق البردى عثر عليها فى مقبرة بتاح حوتب فى منطقة سقارة حيث قبور الأسرة الخامسة واشتهرت هذه النصوص باسم بردية بريس.

وقام بترجمتها من الهيروغليفية إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية العديد من الباحثين فى علم المصريات أمثال أدولف أرمان ، هيرمان رانكا ، هيل ، شباس ، لوث ، برودكشن ، برستيد وآل دريد ، ثم قام بترجمتها إلى العربية باحثون مصريون فى التاريخ والآثار منهم د . سليم حسن ، د. أحمد فخرى ، د. عبد القادر حمزة ، د. أحمد كمال ، د. عبد المنعم أبو بكر ، د. محمد أنور شكرى ، د. عبد العزيز صالح ، د. أنور عكاشة ، د. سيد كريم ، وغيرهم ممن يهتمون بالتراث الفكرى لمصر القديمة.

وقد تضمنت بردية "بتاح حوتب" ثلاث وأربعين عبارة أو حكمة تصف السلوك والأخلاق وما يجب أن يكون عليه الفكر والمجتمع من قيم ومبادئ يجب أن يتحلى بها المرء ليحصل على الأمن والسعادة والاستقرار والخلود كذلك.

وأشارت البردية إلى أن هذه الحكم أعيد تسجيلها فى عصر الدولة الوسطى وسميت باسم مخطوط الحكم والنصائح واعترف كثير من أدباء وحكماء العصور القديمة بأهمية هذه التعاليم فى بناء الإنسان والمجتمع ومدى الاعتماد عليها كأساس فى بناء الحضارة وترقية السلوك الخلقى.

وقد وجدت ترجمات عديدة لهذه الحكم فى عدة مؤلفات منها :

١. مصر القديمة م٢ د. سليم حسن : ٤١٧-٤٢٣ .
٢. موسوعة تاريخ الحضارة : العصر الفرعونى "نصائح بتاح حوتب" ص٤٣٣-٤٣٥.
٣. أدولف إرمان – "ديانة مصر القديمة" : الترجمة العربية ص١٧٨-١٧٩.
٤. الشرق الأدنى القديم حـ١ : د. عبد العزيز صالح ص: ٣٨٠- ٣٩٠.

٥. الكاتب المصرى : د. سيد كريم. ص ٩ – ٢٠ – ٣٥.
٦. قدماء المصريين أول الموحدين : د. نديم السيار . ص١٤٦-١٧٠.
٧. مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة (الترجمة العربية ص١٧٥)..
٨. فجر الضمير : الترجمة العربية ص١٤٢.

نص حكم بتاح حوتب :

- **لا تكن متكبراً بمعرفتك ولا تثق بأنك رجـــل عــالم.**

وفى ترجمة أخرى : لا يداخلك الغرور بسبب علمـــك ولا تتعـالى لأنـك رجـل عالم فشاور الجاهل والعاقل لان نهايـة العلـم لا يمكـن الوصـول إليـها وليـس هناك عالم يسيطر على فنه تمامــــا.

وأن الكلام الحسن أكثر اختفاء مـن الحجـر الأخضـر الكريـم "الزمـرد" ومـع ذلك فإنك تجده مع الإماء اللاتى على أحجــــار الطواحيــن.

- ما أعظم الحق فإن قيمتـــه خـالدة ، فـإن الحـق مثـل الطريـق السـوى أمـام الضال.

- إن ثروة المرء العظيمة هى عقله ، فمـــا أفضـل الابـن عندمـا يصغـى لأبيـه فالابن إذا وعى لما يلقيـه عليـه والـده فانـه لـن يخيـب فـى مشـروع مـن مشروعاته وعليك أن تعلم من يستمع إليك كأنـــه ابنـك ، ومـن سـيكون ناجحـاً فى نظر الأمراء هو من يوجـــه فهمـه حيثمـا يقـال لـه لأن أكـثر المصـائب تنزل بمن لا يســتمع.

- وما أجمل أن يستمع الابن لأبيه ، فيطول عمره مـــن جـراء ذلـك.

إن من يسمع يظل محبوبا من الإله ولكن الذى لا يســـمع مكـروه مـن الله.

وفى ترجمة أخرى : إن الابـــن المســتمع المطيـع يحبـه الله ، الكـلام الطيـب هديه من الله.

- إن الغبى هو الذى ينظر إلى العلم كما لو كان جهلا وإلى الخير كما لو كـــان شـــرا ويجلب على نفسه اللـــوم كــل يــوم لأنـــه يفعــل كــل مــا هــو مكــروه مــن الناس.

- عليك الالتزام بالحذر فـــى حضــرة العلمـــاء ، والالــتزام بــآداب المــائدة فـــى حضرة الرئيـــس.

عليك باحترام الرئيس طبقا لمــــا وصــــل إليـــه ودون النظـــر إلـــى أصلـــه قبــل رئاسته لأن الثمرة لا تأتى عفـــواً.

عليك أن تتحلى بالصمت أمــــام الرئيـــس ولا تتكلــم إلا بعلــم ، وحيـــن تســـجل المعضلات لان صناعة الكلام أصعب مـــن أى حرفـــة أخـــرى.

- إذا كنت ممن يوثق بهم ويرسلهم أحد العظمـــاء إلـــى عظيــم آخـــر فكـــن أمينـــاً جداً وبلغ الرسالة كما قالها لـــك.

- إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القـــدر ، وصـــرت صـــاحب ثـــروة بعـــد أن كنت محتاجاً ، فلا تنسين كيف كانت حالتك فـــى الزمـــن المـــاضى.

ولا تفخر بثروتك التى آتت إليك منحة مـــن الإلـــه ، فـــإنك لســـت بـــأفضل مـــن غيرك من أقرانك الذين حل بهم ذلـــك.

وهـــذه الفقـــرة فى ترجمـــة أخـــــرى :

إذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القدر ، وأصبحـــت غنيـــاً بعـــد أن كنـــت فقـــيراً فى البلد الذى يعرفك أهله فلا تنس كيف كـــان حـــالك فيمـــا مضـــى ، ولا تغـــتر بثروتك التى جاءتك كهبة من الإلـــه.

- سوف يرتضى الإله عملك ، إذا كنت متواضعـــاً وعاشـــرت الحكمـــاء.

- إذا أردت أن تعيش من مال الظلم أو تعتنى بـــه نـــزع الله نعمتـــه منـــك وجعلـــك فقيراً.

- بقـــدر الكد تكتسب الثروة فمن جد فى طلبهـــا نجـــح الله مســـعاه.

- لا توقع الفزع فى قلوب البشر لئلا يضربك الإلـــه بعصـــا انتقامـــه.
- إن التعرف بأعاظم الناس نفحة مـــن نفحـــات الله.
- إذا كنت عاقلاً قرب ابنك حسبما يرضـــى الإلـــه.
- إذا نلت الرفعة بعد الضعة وحزت الثروة بعد الفاقـــة فـــلا تدخـــر الأمـــوال بمنـــع الحقوق عن أهلـــها .

وفى ترجمة أخـــرى :

وليكن للناس نصيب مما تملك فهذا واجب على مـــن يكـــون صفيـــاً لله.

- فإنك أمين على نعم الله والأمين يـــؤدى أمانتـــه .

وفى ترجمة أخرى : لا تخن من ائتمنك ، والأمين مـــن يـــؤدى أمانتـــه.

- وإن جميع ما وصل إليك سينقل إلـــى غـــيرك ولا يبقـــى فيـــه لـــك إلا الذكـــر إن حسناً أو ســـيئاً.

وفى ترجمة أخرى : وليكن للناس نصيب مما تملك فهذا واجب علـــى مـــن يكـــون صفياً لله.

- ولا تكن متكبراً ولا تكونن منتفخ الأوداج ، وإذا فـــاه أخـــوك بالشـــر فأنصحـــه.
- أعلم أن بيت الزانى مآله الخراب ، وكل زان لابد أن يكون ممقوتا من الإله لأنـــه مخـــالف للشـــرائع ، ومـــن خـــالف الشـــرائع والقوانيـــن الإلهيـــة نـــال شـــر الجزاء..
- ما أراده الله يتحقق ، وأن الجهول هو مـــن يعـــترض علـــى إرادة الله.

وفى ترجمة أخرى : "بيـــد الله مصـــير كـــل حـــى" ، ولا يجـــادل فـــى هـــذا إلا جاهل..

وفى ترجمة أخرى : إن تدبير الخلق بيد الإله الـــذى يحـــب خلقـــه.

- إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء لان بيـــده مقـــاليد الأمـــور .

والرزق وفقا لمشيئة الله فمن العبـــث التعــرض لإرادة الله.

وفى ترجمة أخـــرى :

الرزق هو أكل العيش طبقا لتدبـــير وتقديــر الإلــه ، والجـــهول مـــن يعـــترض على إرادتـــه.

- **لا تكثر من اللغو ولا تســـمعه.**
- **ما على الرسول إلا البلاغ ولكن بغـــير خلــط.**
- **وإذا حكمت بين الناس فأسلك طريق الحـــق وطريـــق العـــدل ..**
- **ساير نفسك ما حييـــت ولكـــن لا تتجـاوز العــرف ، وإيــاك أن تبــتر ســاعة المتعة ، فالنفس تأبى أن يفسد وقـــت متعتــها ، ولا تســتنفذ مـــن شـــئون اليــوم أكثر مما يعول دارك وعندما يواتيك الثراء ينبغ أن يســـتمع القلـــب فلـــن يجـــدى الثراء إذا أهمل القلـــب.**
- **لا تتشاجر مع أى شخص عظيما كـــان أو بســيطا فـــإن ذلــك أمـــر كريـــه فلـــم يحدث أبدا إن عمل السوء يوصل صاحبه ســالما إلـــى مأمنـــه .**
- **إذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكـــن رحيمـــا عندمـــا تســتمع إلـــى الشاكى ولا تعامله إلا بالحســـنى.**
- **إذا كنت شخصا عاقلا فأحبب زوجتك التى تعيــش فـــى منزلـــك بصـــدق وأمانـــة وقدم لها أطيب الطعام وأكسها بأفضل الكساء وقـــدم لــها أذكـــى العطـــر وأدخـــل السرور إلى قلبها طيلة حياتـــها.**
- إذا وجدت خطيبا فى زمانك سليم العقل أمهر منـــك فـــأثن لـــه ذراعـــك وأحنـــى له ظهرك . أما إذا تكلم جهرا فلا تقتصرن حينئـــذ فـــى مقاومتـــه حتـــى ينـــادى **به الناس : أنت إنسان جاهل ، ولكن إذا كان مماثلا لـــك فأظـــهر بصمتـــك أنـــك** أفضل منه إذا أخطأ فـــى الكـــلام وعندئـــذ ســـيمدحه الســـامعون ولكـــن اســـمك سيعتبر حسنا بين العظماء . أما إذا كـــان شـــخصا حقـــيرا ليـــس نـــدا لـــك فـــلا

تغضبن عليه لأنك تعلم أنه تعس ، أحتقره وبذلك يؤنب نفسه وأنه لتبيح أن يضر الإنسان شخصا محتقرا.

- وكن سمح الوجه مادمت حيا ، فأن ما يخرج من الشونة لن يعود فيدخلها.

- مهموم النفس طوال يومه لن يصيب لنفسه فترة هنيئة ومكشوف النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارا سعيدة. ومن أطاع هواه أنتهى إلى التمني دون سواه ومن أطاع بدنه كان عدو نفسه.

- إذا طعم بدنك والتفت وجهك إلى جيرانك (أكرمتهم) أطراك الناس من حيث لا تدرى.

أما إذا ضل الفؤاد وأطاع جسده فأنه يكون قد أحل صغاره محل حبه وتعس عقل صاحبه وساير وجهه بما جرته عليه نفسه. ولقد عزت نفوس اتباع الإله وحده.

- ترفق حين تسمع إلى حديث الشاكي ، ولا تنهره حتى يفضى بما في جوفه ويحكى ما جاء من أجله ، فالمتظلم يجب أن يؤمن السامع على قوله حتى ينهى ظلامته .

والمهموم قد يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضى له حاجته ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد.

وفى ترجمة أخرى : إذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوى فكن شفيقا حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسئ معاملته إلى أن يغسل بطنه وإلى أن يقول ما قد جاء من أجله ، وأن المتظلم يحب كثيرا أن يهز الإنسان رأسه إلى كلامه إلى أن ينتهى مما جاء من أجله ، وأن مجلسا حسنا يسر القلب.

- الرجل من يقول اكتسبت بعملى ، وليس الرجل من قال أتمنى لنفسى. وقد يقول إنسان لسوف أشبع هنا فإذا هو فى غده محروم من خيرات الكبار ويقول لسوف أتمنى هناك ثم ينتهى إلى ترك ثروته لمن لا يعلمه.

ذلك أنه ما تحقق تدبير للخلق . وأن مـــا أراده الإلـــه يتحقــق. فـــإذا عزمــت أن تحيا بالقناعة أتاك مـــا قـــدره لـــك الإلـــه بأكملـــه والـــرزق وفـــق إرادة الـــرب والجهول هو من يعترض علـــى إرادتـــه.

- إذا كنت قائدا وتصدر الأوامر للجمع الغفـــير فأســـع وراء كـــل كمـــال حتـــى لا يكون نقص فى طبيعتـــك .
- إن الصدق جميل وقيمته خـــالدة وإنـــه لـــم يـــتزحزح منـــذ يـــوم خلقـــه والـــذى يتخطى نواميسه يعاقب ، وهو أمام الضـــال كـــالطريق المســـتقيم.
- إن الخطأ لم يقد مقترفه إلـــى الشـــاطىء.

حقيقة أن الشر يكسب الثروة ولكـــن قـــوة الصـــدق فـــى أنـــه يمكـــث والرجـــل المستقيم يقول أنه متاع والـــدى.

- إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فـــلا تســـأله ولكـــن أقـــترب منـــه وكن معه منفردا ، وأمتحن قلبه بالمحادثة ، فـــإذا أفشـــى شـــيئا رآه وآتـــى أمـــرا يجعلك تخجل منه وقتئذ أحذر حتى فـــى أن تجاوبـــه .
- أشبع لأصدقائك بما جد لك كإنسان نـــال الحظـــوة عنـــد الإلـــه ومـــن الحـــزم أن تفعل ذلك إذ ليس هناك إنسان يعرف مصيره إذا فكـــر فـــى الغـــد فـــإذا أصـــابت المقربين مصيبة فإن الأصدقـــاء هـــم الذيـــن لا يفتـــأون يقولـــون مرحبـــا لـــه ، فعليك أن تستبقى وذهم لوقت السخط الذى يـــهدد الإنســـان .
- إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فـــى بيـــت تدخلـــه ســـيدا أو أخـــا أو صـــاحبـــا فأحذر القرب من النساء ، فأن المكان الذى هن فيـــه ليـــس بالحســـن ومـــن أجـــل هذا يذهب الرجل إلى الـــهلاك .. إذ أن ألـــف رجـــل قـــد يذهـــب بســـبب متعـــة برهة قصيرة تضيع كالحلم ولا يجنى الإنسان من معرفتـــهم غـــير المـــوت.
- إذا تزوجت امرأة فلا تعنفها بل دعها منشرحة الصدر أكثر مـــن نســـاء بلدهـــا.

وفى ترجمة أخرى : إذا أصبحت كفئـــا كـــون أســـرتك وأحبـــب زوجتـــك فـــى حدود العرف أو عاملها بما تستحق ، وأشـــبع جوفـــها وأســـتر ظـــهرها وعطـــر

بشرتها بالدهن العطر فالدهن باق فـــى بدنـها. وأســعدها مــا حييــت ، فــالمرأة حقل نافع إلى آمرها "ولى أمرهــــا".

- ولا تتهمها عن سؤ ظن وامتدحها تخبت شرها . فـــإذا نفــرت راقبـــها وأســتمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك وسوف يكيدها أن تعاشرها ضـــرة فــى دارهــا
- أحذر مخالطة النساء فما طاب مكان حللـــن فيــه.

ومن سوء الرأى أن يتلصص عليـــهن إنســان .

وكم من امرئ ضل عن رشاده حين استهواه جسد بــراق ثــم تحــول عنــه إلــى هباء ، وأصبحت فترات متعتــه القصــار أضغــاث أحــلام وأفضــت بــه إلــى الهلاك

- ينساق الفتى إلى الإثم والنهى ينـــهاه ألا تفعــل الإثـــم ، فــالإثم عــار ، وأربــأ بنفسك عن وخز الضمير كل نـــهار.
- عزة النفس هى أن تزكو سمعتك بغير أن تتكلـــم ويطريــك النــاس مــن حيــث لا تعلم. لقد عزت نفوس اتباع الإلـــه وحــده.
- لينطق قلمك بالحق ولا يخط إلا الصدق بما يفيد النـــاس ويرضـــى الإلــه .
- إن صوت القلم هو أعلى الأصوات لأنــه صــوت الحــق .
- إن الكتابة حاسة مقدسة يهبها الإلــه للكاتب لترفعــه فــوق النــاس فــيرى مــالا يرون ويسمع مالا يســـمعون .
- إن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيـــش أبــد الدهــر .
- إذا كنت رجلا ذا مكانة فأسس لنفسك بيتـــا وأحبــب زوجتــك فــى البيــت كمــا يجب وعليك أن تملأ بطنها وتستر ظـــهرها ، وتوفــر العطــور التــى هــى دواء أعضائها وأشرح قلبها طالما عاشت فأنها حقــل مثمــر لربــها (لزوجــها) وفــى ترجمة أخرى لســيدها.

- أحسن العمل مع أهلك كما يناسب ، لأن هذا فعـــل يفضلـــه الإلــه. ومــن قصــر في حسن العمل مع أهله يقال عنه إنه رجـــل ملعــون .

- لا تكن مسيئ الخلق مع جيرانك ، والصفح عن السفيه خـــير مــن القســوة ، فــأن أخطأ الزعلان في حق جيرانه لا يدرك كيـــف يوجــه كلامــه وبــدل أن تكــون الإساءة قليلة سينشأ عنها الكدر مكـــان الصفــو .

- إذا غضبت ولا دواء لذلك ، أو كنت معنفا من قبــــل أحــد فصــد عنــه بوجــهك ولا تفكر فيه متى كف الكلام عنك ، وكن باش الوجـــه مـــادمت حيــا .

- اتبع لبك ... عقلك وقلبك "مادمت حيا" ، ولا تفعلـــن أكـــثر ممـــا قيـــل لـــك ، ولا تنقص من الوقت الذى تتبع فيـــه قلبـــك ، ولا تشـــغلن نفســك يوميـــا بغـــير مـــا يتطلبه بيتك ، وعندما يواتيك الثراء متـــــع نفســك لأن الـــثراء لا تتـــم فائدتـــه إذا كان صاحبه معذبـــا.

وفى ترجمة أخرى : ساير نفسك ما حييت ولكـــن لا تتجـــاوز العـــرف .

- إذا أردت أن تكون خلقك محمــودا وأن تحـــرر نفســك ممـــا هـــو قبيـــح فـــأحذر الشراهة فأنها مرض مملـــوء بـــالداء ولا يشـــفى ، والصداقـــة معـــها مســـتحيلة فأنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عـــن ســـيده وتجعـــل كـــلا مـــن الأب والأم قبيحاً وكذلك الأخوال وتفصل الـــزوج عـــن زوجتـــه ، وهـــى حزمـــة من كل أنواع الشر ، وحقيبة من كـــل شـــىء مـــرذول وأن الرجـــل الـــذى يتبـــع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصــــراط الســـوى يعيـــش طويـــلا ويكســـب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر لــــه.

- ولا تكونن شرهاً في القسمة ، ولا تكونن ملحاً إلا فى حقك ولا تطمعن فـــى مـــال أقاربك ، فأن القليل الـــذى أختلـــس منـــه يولـــد العـــداوة حتـــى عنـــد صـــاحب الطبع اللين .

وفى ختام الحكم والنصائح يقول بتـــاح حوتــب :

- إذا سمعت هذه النصائح التـــى ذكرتـــها لـــك فـــأن حكمتـــك تصـــير فـــى تقـــدم حقيقى ، ومهما تكن فأنها الواسطة للوصـــول إلـــى الخـــير ، وهـــذا هـــو الـــدى جعلها ذات قيمة وجعل إدراكها يبعد عـــن لغـــط النـــاس ، ومـــا أحســـن ترتيبـــها فى كل مجال ذكرت فيه من غير تغيير يدخلها فـــى هـــذه الدنيـــا أبـــد الأبديـــن ، فهى النسيج الذى يصنع للتحسين وبه يتكلـــم الإنســـان فيتعلـــم أســـلوب الكـــلام إذ بعد فهمها يصير (أســـتاذا). والـــذى يكـــون لـــه اســـتعداد لســـماع هـــذا الكـــلام ويصغى إليه ينال النجاح الذى يبلغ بـــه الدرجـــة الرفيعـــة ويضمـــن لـــه الكمـــال السرمدى فلا شىء يهوله أبدا إذ بالعلوم تكون إدارتـــــه ثابتـــة ويكـــون بـــها فـــى الدنيا ســعيدا

فالعالم شبعان بمعرفته ، كبير بفضله ، لسانه طـــــوع عقلـــه ، وشـــفتاه صادقتـــان متى تكلم ، وعيناه متى نظرتا وأذناه متـــى ســـمعتا ويكـــون فـــائدة لابنـــه فيفعـــل الصواب بدون خطـــأ .

- والفضل فى هذه النصائح التى ألقيتهـــا عليـــك يرجـــع للأجـــداد ، لأن نصائحـــهم جديرة بـــالتقدير

إبيوور EBI YOOR
2420 - 2300 ق.م

الحكيم "إبيـــوور" من أشهر كتاب الحكمة فى الأســـرة السادســة التــى تمثــل فى بعض مراحلها عصر الانهيار والثورة الشـــعبية ونهايــة الدولــة المصريــة القديمــة والتى وجد بها بعض الملوك الضعاف مثل الملك تيتـــى وبيبـــى الأول وبيبـــى الثــانى

وقد واكب مظاهر عدم الاستقرار والانحـــلال والفقــر ثــورة فكريــة ودعــوات إصلاحية ، فظهرت أصــوات وأفكــار ترفــض الجمــود والضعــف والتخلــف وتدعــو الملوك والرعية على سواء إلى التمسك بالفضائل والتطلـــع للمثــل والقيــام بــدور فعــال فى إصلاح شئون البلاد. وكان من أشـــهر هــؤلاء الدعــاة للثــورة الفكريــة فــى هــذه الفترة الحكيم "ونــــى" ثم "إبيـــوور" وانتـــهت بــالحكيم "آنـــــى" .

كان مثال العدل محور فلسفة "إبيـــوور" السياســية والاجتماعيــة وكــان حســن النظام وصحوة الضمير غاية الحكمة عنده ، وقد عبرت كلماتـــه عــن ذلــك حيــن قــال: **"حقا لا تزال العدالة باقية فى الأرض باسمها ، ولكن المؤســف حقــا هــو الخطــأ فــى تطبيقهم لــها".**

ويمكن تصنيف "إبيــوور" كفيلسوف سياســـى لأنــه اهتــم بمــا يجــب أن يكــون عليه الحكم وحدد صفات الملك النـــاجح ومــدى مســئولياته ورعايتــه واعتــبر الحكمــة السياسية موقف وفكر ورؤيـــة إصلاحيــة شــاملة ، وأنــه اســتطاع أن يقــدم تعليــلات مقنعة لأسباب الثورة والفقر وانهيار الدولة ، ووضـــع منــهجا إصلاحيــاً متكــاملاً يبــدأ بالشعب وينتهى بالحاكم ، وينبه إلـــى أهميــة تطبيــق العدالــة وخطــورة التخلــى عــن الضمير والأخلاق والعـــدل.

ومن هنا كان "إبيــوور" هو الفيلسوف الشـــجاع الــذى اســتطاع مواجهــة الملــك وطالبه بتحمـــل مســئولياته وإصـــلاح المفاســد وإنقـــاذ الأمـــة مـــن حالـــة الضعــف والانحلال ، وإن ذلك لا يكون إلا بـــالعمل والإيمـــان بأهميــة العــدل والخــير والنظــام وخطورة الظلم والشر والعـــدوان.

عرف الحكيم "إيبوور" بشجاعة الرأى فى مجال السياسة والرواية والأدب والحكمة حتى لقب بفيلسوف الثورة الشعبية والمصلح العجوز وقائد ثورة الشعب التى اندلعت فى عهد الملك "بيبى الثانى" فى أواخر القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، وهذه الألقاب تعكس الدور الإيجابى الذى مارسه "إيبوور" فى حياة مجتمعة ، فرغم إنه كان ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية فقد شارك الفقراء مشاعرهم ومطالبهم ولم يقف موقف المتفرج أو المحايد من أحداث الظلم والفوضى وما ارتكبه بعض الحكام والأمراء من أخطاء أدت إلى انهيار الدولة وضعفها.

وتوجه "إيبوور" إلى الملك "بيبى الثانى" بعدة نصائح يحثه فيها على العمل بالعدل والتزام جانب الحزم فى تطبيقه ووصف حقيقة الأوضاع الاجتماعية وما آلت إليه من تدهور وضعف ، وسجل فى نصائحه ما يجب أن يكون عليه الحاكم المثالى الملتزم بالقانون والعدل ، كما سجل موقفه الرافض للفوضى والجمود والظلم وما يجب على الحاكم والرعية تجاه الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة .

وحرص "إيبوور" على وصف سلبيات الثورة الشعبية وإيجابياتها فكان من سلبياتها الاندفاع الغير محسوب والاعتداء على الأثرياء وانتهاك حرمات المقابر ونهبها وتفشى الجهل والفقر والمرض.

أما إيجابيتها فتمثلت فى الموقف الرافض المتدهور والبحث عن ما يجب أن يكون وأنها استثارت نوعا من الوعى القومى لدى المفكرين والمصلحين ليقوموا بدورهم فى توعية الشعب إلى مخاطر الظلم والعدوان وجزاء من يفعل الشر فى الدنيا والآخرة كما نبهت الحكام والوزراء إلى أخطائهم وعيوبهم وما يمكن أن تؤول إليه الحياة الاجتماعية من ضعف وانهيار [١].

---

[١] راجع : بردية ليدن "متحف ليدن رقم ٣٤٤" والتى سجلت فى عصر الدولة الوسطى وأعيد تسجيلها فى عصر الدولة المصرية الحديثة.

أقـام "إيبـوور" منهجه الإصلاحـي علـى مبـدأ العدالـة والقـانون ، وحـدد خطـوات الإصـلاح والطريـق العملـي للتطبيـق والبنـاء ، وكشـف عـن الأسـباب والعوامل التى أدت إلى الثورة والفوضـي والانـهيار.

- كانت الخطوة الأولى للإصلاح عنـد "إيبـوور" أن يقـوم أصحـاب الفكـر والرأى من المصلحيـن والكتـاب والكـهان بدورهـم تجـاه الحكـام والشـعب فيبصرونهم بالعلل والأخطاء ، وقيمة العمـل مـن أجـل الحيـاة والمسـتقبل وأن يبينوا لهم الطريق لما ينبغى أن يكون . وكيـف يكـون الحكـم مثاليـاً ، وكيـف يكون الحاكم صالحاً ، وأن يواجهوا الحكام بعيوبـهم . وأن يدعوهـم إلـى إعـادة النظر فى العقـائد والأفكـار والعـادات فـالتجديد والتغـير ضـرورة لازمـة ، والمواجهـة بالحقيقـة صعبـة ، ولكـن الإصـرار علـى الإصـلاح والتغيـير مسئولية جماعية ، ولا يتحقق الوعـي ولا تسـتيقظ الضمـائر إلا بعمـل رجـال الفكر وأصحاب الـرأى.

وهذا ما عبر عنه "إيبـوور" حيـن قـال : ومـا أشـق ذلـك علـى نفسـى وعلى الكثيرين فلا بد أن أرفع صوتى ليلبى الإلـه النـداء وينقذنـى مـن ذلـك العـذاب الذى أعانيـه.

وذلك فى إشارة إلى المهمة الصعبة التـى تقـع علـى كـاهل أصحـاب الـرأى والفكر.

- وكانت الخطوة الثانية فى سبيل الإصـلاح والتغيـير ، خطـوة لازمـة للتطبيـق الفعلى ، وذلك بالحفاظ على الإمكانيات والمـوارد وتنميتـها ، وأن ذلـك لا يتـم إلا فى إطار القوانين العادلـة التـى يحترمـها الجميـع ويلـتزم بـها كـلا مـن الحاكم والمحكوم لأن ذلك فى رأيه السبيل لإصـلاح كـل فاسـد.

وفـى هـذه الخطـوة يقـوم الإصـلاح الاجتمـاعى علـى تصحيـح الوضـع الاقتصادى وترشيد الموارد وحسن استخدامها والمحافظـة عليـها ، وهـذا مـا عـبرت عنه كلمات "إيبـوور" فى وضوح فقـال : اصبحـت الدولـة فـى طريقـها إلـى أن

تصب الماء لغيرها ومن أضاع الماء - أى الإمكانات والموارد يكون شل الذراع الفتية واحتجزها فى الأغلال.

وذلك فى إشارة إلى مسئولية الدولة فى الحفاظ على الموارد الاقتصادية وترشيدها وحسن استغلالها وفقا لمبدأ العدل والنظام.

- وكانت الخطوة الثالثة فى منهج "إيبوور" الإصلاحى ، هى تحقيق المثل والقيم التى تؤكد هيبة الدولة وتقضى على إهمال الحكام والولاة وأن ذلك لا يتحقق إلا بالعلم والتعليم وسيادة القوانين وانتشار العدالة وحسن تطبيقها والالتزام بها ، وهذا ما عبرت عنه حكمة "إيبوور" حين قال : "حقا لا تزال العدالة باقية فى الأرض باسمها ولكن المؤسف حقاً هو الخطأ فى تطبيقهم لها".

- وكانت الخطوة الرابعة هى بيان العلة فى خطأ تطبيق العدل ، وهى عند "إيبوور" علة اجتماعية لأن الهوة القائمة بين الحاكم والمحكوم تحول بين معرفة الحاكم بما يجرى من أمور وما يقع من أعمال سلب ونهب وتخريب ، وتؤدى أيضاً إلى زيادة الفوارق الطبقية وانتشار الفوضى والصراع بين طبقات المجتمع.

والحقيقة التى يشير إليها "إيبوور" هى أن الحاكم والمحكوم كلاهما مسئول عن الدولة والنظام ومسئول عن الضعف والانهيار ومن ثم فاليقظة والعلم والتواصل بين الحاكم والرعية كلها أمور لازمة لنجاح الحكم وإصلاح المجتمع.

وهذا ما عبرت عنه حكمة "إيبوور" حين قال : "عظماء البلاد لا تبلغهم أمور البلاد والكل آل إلى الدمار".

- وكانت الخطوة الخامسة هى ضرورة توافر صفات الحكمة والعدل والشجاعة والحلم فى الحاكم ليكون حكمه مثالياً ورعيته صالحة.

وهذا ما عبرت عنه حكمة "إيبوور" ونصائحه التى وجهها للملك "بيبى الثانى" ورسم فيها صورة للحاكم المثالى وصفاته المطلوبة وليؤكد على

أهمية يقظة الحاكم ووزرائه وحاشيته وانتباههم إلى مواطن الضعف والقوة وإدراك العلل الحقيقية وراء الظواهر الاجتماعية السلبية وإدراكهم لواقع الأمة.

ومن أجل ذلك توجه "إيبوور" بالنصيحة والبيان للملك "بيبي الثاني" فقال له : "لديك الوحي والبصيرة وأسباب العدالة ولكنك بعثت الفوضى في البلاد مع أهل الفتنة ولكي تكون حاكما ناجحا وصالحا فإليك صورة الحاكم المثالي المطلوب إنه الحاكم الذي يعمل للبناء ولا يفرق بين جريء وهياب ، إنه الرجل الذي يستطيع إن يحيل اللهب بردا وسلاما ويمكن أن يعتبره قومه راعيا للناس أجمعين .. إنه الرجل الذي ليس في قلبه ضغينة وإذا تفرقت رعيته قضى يومه يجمعها."[1].

إن هذه الكلمات تؤكد على معرفة "إيبوور" بالحكمة والفلسفة كما تؤكد إدراكه لأهمية الحاكم ودوره وخاصة الحاكم الفيلسوف بوصفه الحاكم المثالي الذي تتوفر فيه صفات الشجاعة والحكمة والتواضع والعدل والرحمة ، فتلك الصفات تقربه من رعيته وتعينه على تطبيق النظام والعدل وإصلاح المجتمع وبقائه.

كما تؤكد أن حكمة "إيبوور" السياسية والاجتماعية تتميز بالثراء والواقعية ، وهي في نفس الوقت دليل على تنوع وثراء النشاط الفكري لحكماء مصر الأوائل وشمول معرفتهم وصدق حكمتهم مع القابلية للتطبيق ... وهذا ما ظهر بوضوح من خلال الخطوات الخمس التي حددها "إيبوور" في منهجه الإصلاحي.

---

(1) راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ ١ - ص١٥٦-١٥٧ ، ص٣٩١-٣٩٤.

آنى AANI
2280 - 2242 ق.م

نشأ الحكيم "آنــى" فى منتصف القرن الثـــانى والعشــرين قبــل الميــلاد حيــث بداية الدولة الوسطى فى مصر القديمة الذى بـــدأ فـــى نهايـــة عصـــر الأســـرة السادســـة وكان "آنـــى" آخر حكماء هـــذه الأســـرة.

وانتشرت حكمه عبر الصور لأنـــها جمعـــت خلاصـــة الفكـــر المصـــرى فـــى مجال الدين والعلم والأخلاق ، وكانت مرشداً للمفكرين والعـــوام علـــى ســـواء[1].

وكان الحكيم "آنـــى" نموذجـــاً للمفكـــر المصـــرى العاشـــق للحكمـــة المشـــارك بفكره فى عملية الإصلاح الاجتماعى وتهدئة الأوضـــاع الثـــائرة ووقـــف حالـــة التدهـــور والفوضى التى سادت البلاد فى عصره ، فســـاهم عمليـــاً فـــى يقظـــة الوعـــى الشـــعبى واستخدام حكمتـــه فـــى بنـــاء منـــهج إصلاحـــى متكـــامل وفـــق الأعـــراف المصريـــة المتوارثة القائمة على مبادئ الدين والأخلاق وحكـــم الصـــالحين ومواعـــظ الســـابقين.

واستخدم "آنى" أســـلوب القصـــة والأســـطورة ووصـــف رحلـــة الـــروح إلـــى السماء وكيف يكون الحساب والجـــزاء فـــى محكمـــة الآخـــرة ، وهـــو وصـــف يجعلنـــا نصنف "آنـــى" فى مقدمـــة فلاســـفة الميتافيزيقـــا الأوائـــل الذيـــن اســـتخدموا الخيـــال

---

[1] ذكرت بعض المراجع التاريخية أن الحكيم "آنـــى" كان أحد رجال البلاط لأحد ملوك الأســـرة الثامنة ، ورأت الأخرى إنه ظهر فى بداية الدولة الحديثة حوالى القرن الخامس عشـــر قبـــل الميلاد وإنه كتب نصائحه لولده ليرشده إلى مقومات السعادة فى الأسرة والحياة. وهـــذه الآراء جانبها الصواب لأنها اعتمدت على وقت إعادة تسجيل هذه الحكم فى القرن الـ١٥ ق.م. حيـــن ظهرت نزعة الاهتمام بتسجيل التراث المصرى والصحيح أن هذه الحكم ظهرت فـــى زمـــن الأسرة السادسة وأشهر ملوكها الأربعـــة الملـــك "تيتـــى" و"بيبـــى الأول" و"بيبـــى الثـــانى" و"تيوتكريس" ، وكان بها العديد من الحكماء مثل "ونـــى" و"إبيـــوور" و"آنـــى".

والأسطورة وقدموا الأدلة العقلية على وجود الروح وخلودها. والأدلة العقلية على وحدانية الإله وصفاته وعلاقة الإله بالكون والإنسان فاتسمت رؤيته بالصيغة الميتافيزيقية لعالم الآخرة بوصفه عالم البعث والحساب والخلود ، وليؤكد على علاقة الاتصال الوثيقة بين عالم المادة وعالم الروح وبين العمل فى الدنيا والخلود فى الآخرة.

أولا - الحكمة والكتابة عند "آنى" :

أكد "آنى" حقيقة السمة الشمولية للحكمة المصرية القديمة التى كانت وليدة الجهد العقلى المتواصل وتضافر الفكر الشعبى بأكمله فلم تكن الحكمة المصرية وليدة جهد فردى أو بعض الأفراد من الحكماء الذين أحبوا هذه الحكمة بل كانت جهدا جماعيا لشعب يعشق الحكمة ويؤمن بالحياة والخلود ، فكان كثيرون يجيدون التعبير بالكتابة والنقش وممارسة الفن والبناء والتصوير وكانوا جميعا يؤمنون بالإله الواحد وأهمية الحياة والتاريخ والعدالة .

وفى عصر الحكيم "آنى" تدرجت الحكمة واكتمل ظهورها وظهرت طبقات معروفة من الحكماء وأصبحت الحكمة عندهم وظيفة وأمل يحرص عليه كل فرد وكل مسئول من اجل ذلك كان حرص الحكيم "آنى" كمفكر وراع أن يعبر عن هذه الأمانى فيتمنى لابنه ولشعبه الحكمة كعمل ومشاركة وليس مجرد فكر نظرى أو تأمل عقلى.

- كانت الحكمة عند "آنى" ممارسة عملية لوظيفة سامية هى الكتابة ، وكانت هى التعبير الصادق بالرأى ، وكانت أيضا هى هبة إلهية ومنحة عظيمة يهبها الإله لمن يسعى إليها ويخلص فى أدائها .
- وكانت الحكمة عنده فى السعى لتحصيل المعارف والعلوم والالتزام بالعرف والعدل وأحكام الدين ولم تكن وحيا أو إلهاما إلهيا فقط بل كانت قيمة سامية وممارسة عملية وسعى لتحقيق المكانة والسمعة الطيبة والخلود فى عالم البقاء. وهذه المعانى قد عبر عنها "آنى" حين قال لابنه : "فلتكن

أمنيتك أن تصبح كاتباً فالكتاب أعظم رزقاً يسعى إليها وأعظم هبة يهبها الإله لمن يسعى إليها".

"إن الكتاب أعظم قيمة من مسكن الحياة حيث تشرق الشمس ، وأبقى خلودا من مقبرة حيث تغرب الشمس".

" يا بنى هل بيننا من يضارع أوفرا ؟ هل بينكم من يتساوى مع أمحوتب"؟

- "يا بنى هل فى عصرنا من هو مثل نفرى آختى أو بتاح حوتى وكاخبر" وهم أعظم العظماء الذين تتطلع إليهم الأنظار وتنخفض أمامهم الرؤوس. يا بنى هل بينكم من يقول إنه مثل بتاح حوتب أو كاتريس. وهكذا أراد آنى أن يحفز ابنه وشباب عصره على تحصيل الحكمة بإعطاء أمثلة لعظماء الحكمة فى العصور التى سبقته بوصفهم القدوة والمثل.

وأكد "آنى" أن الحكمة ليست مجرد صفة أو وظيفة عادية بل هى أعلى الألقاب العلمية ودرجات السلم الوظيفى ، فالحكمة درجة يتم الحصول عليها من بيت الحياة أو بيت الحكمة المقدسة الذى كان فى الغالب يلحق بالمعبد الكبير فى عاصمة مصر كما كان معبد "أون" [عين شمس] الذى كان بمثابة أكاديمية لمختلف العلوم والفنون. ، وكان "آنى" يتمنى حصول ابنه على تلك الدرجة العلمية من الحكمة لأنها أغلى الأمانى وأعظم الهبات الإلهية وأعلى درجات الحكمة.

فالدرجة الأولى من الحكمة تسمى علم أسرار الوجود وهى أعلى مراتب العلوم ويعمل بها كتاب الحكمة المقدسة من الفلاسفة الذين يمارسون وظيفة التأليف والتعبير ويتحملون مسئوليات عامة فى التوجيه والنصح للحكام والوزراء وعموم أفراد الشعب.

أما الدرجة الثانية من الحكمة تتألف من كتاب الوحى من الكهنة الذين يتولون مهمة تسجيل وتعليم الفنون وتدوين المشاريع الدينية والوثائق التاريخية .

ويأتى فى الدرجة الثالثة من الحكماء كتاب الأدب الاجتماعى الذين يتولون مهمة تسجيل أهم الأحداث والقصص والأساطير والأخبار الاجتماعية العامة.

ويأتى فى الدرجة الرابعة كتاب الشعر والأغانى الذين يجمعون فى وظيفتهم بين التعليم والأداء ، فيكتبون الشعر ويعزفون على الآلات ويقدمون الألحان المناسبة لمختلف المناسبات والأغانى .

ويأتى فى الدرجة الخامسة من الحكماء الكتبة العموميون أو الشعبيون الذين يعملون فى الوظائف الحكومية والخدمات المحلية أو الشعبية وهؤلاء تقتصر ثقافتهم ووظيفتهم على مجرد التسجيل أو تدوين السجلات اليومية وحفظ المستندات والوثائق[1].

ويلتقى مفهوم الحكمة عند آنى مع المفهوم العام لها بمعنى الالتزام بما ينبغى أن يكون والسعى لحصول الكمال بالعلم والتعليم ، وبوصفها غاية سامية وقيمة عليا يسعى لتحصيلها كل صاحب فكر أو رأى وكل مسئول بل كل أب.

وحول هذا المعنى يلتقى كتاب الحكمة .. ومثال ذلك العديد من النصائح التى كان يحرص الأمراء والملوك والحكماء أن يوجهوها إلى أبنائهم أو رعيتهم.

فهذا "سنب حوتب" الحكيم يحث ابنه على تعلم الكتابة لأنها الطريق لتحصيل الحكمة والترقى فى سلم الحياة الاجتماعية فيقول له :

"يا بنى تعلم كيف تحرك أصابعك القلم وكيف يحرك عقلك أصابعك .. فلا يخط قلمك إلا الحكمة والمعرفة وما ينفع الناس".

"يا بنى إن ما يخطه قلمك سيعيش فى قلوب الناس وعقولهم فلا يمتد إليه يد العبث والتخريب".

وهذا حكيم آخر هو "آمون من" يحث ابنه وباقى الشباب إلى التعلم وتحصيل الحكمة فيقول له : "كن كاتبا -- أى حكيما متعلما – حتى يريح عقلك إجهاد جسمك ، وكن كاتبا لتصير سيد نفسك".

---

[1] الكاتب المصرى – الدكتور سيد كريم – ص ١٧ – ٢١.

وكن كاتباً لتنعم عليك الآلهة بحاسة جديدة مقدسة تضاف إلى حواسك الخمس ، حاسة تميزك عن الآخرين فترى مالا يراه الآخرون وتسمع مالا يسمعه الآخرون.

"يا بنى بالحكمة سترى وتسمع بعقلك وقلبك عالم ما وراء الطبيعة....

ستتمتع بشهوات عقلك وتسعد قلبك ، ومن كان قلبه سعيداً أسعد الآخرين[1].

ثانيا :- الحكمة والدين :

هناك إجماع على أن الفكر المصرى فى مختلف صوره وعصوره هو فكر دينى مصدره الوحى وما جاء به الأنبياء والرسل وما سجله الحكماء من آداب وفنون ومعارف وما رسخ فى الوجدان من تقاليد وأعراف ، ومن ثم كان التشابه الكبير بين ما جاء على لسان "آنى" فى حكمه وبين ما جاء فى القرآن الكريم على لسان الأنبياء والرسل وما جاء على لسان الحكيم لقمان فى مواعظه الأخلاقية وما أورده "آنى" من تصورات حول الألوهية والبعث والحساب وعالم الآخرة .

ولذا رأينا العديد من الباحثين يعقدون المقارنات بين حكم لقمان وما جاء به الحكيم آنى من قبل لإثبات أن حكمة "آنى" الدينية قائمة على التنزيه والتوحيد وأن مواعظه الخلقية مصدرها تعاليم الأديان السماوية .

١. ففى وجوب عبادة الإله الواحد المنزه عن الشريك والجسمية فان ما أورده "آنى" يعكس مدى فهمه لحقيقة الألوهية وتصوره للإله القادر الرحيم والخالق العظيم ، ويدل على ذلك قوله :

(١) الكاتب المصرى – د.سيد كريم – ص١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ .

"لا تسأل عن صورة ربك .. وقولـه : لا تبحث أسرار ملكوت ربـك فـهى فوق مدارك العقول .. وقوله : خاف مـن الإلـه وأتقـى غضبـه ولا تفعـل مـا يكرهه ربك وأحفظ وصاياه وإرشاداته فإنه يرفـع مـن يمجـده .

وقوله : "دع عينك تعرف قيمة ربـك واحـترم اسـمه لأنـه هـو الـذى يعطـى القوة لملايين المخلوقـات".

وإذا ما قورنت هذه الأقوال مع ما جـاء فـى القـرآن الكريـم مـن آيـات دالـة على وحدانية الله المنزه فترى توافق قـول "آنـى" : "لا تسـأل صـورة ربـك مع قول الحق سـبحانه ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[الأنعام ١٠٣]

وقول "آنـى" : لا تسأل عن صورة ربك – وأحتفـى بـآلائك وأذكـره فـان الله يغضب على من يستخف به. وقرب قربـانك لله شـكراً

دليل قوى على إيمـان المصـرى القديـم بالإلـه الواحـد الـذى يتعبـدون لـه ويشكروه وأن قول "آنـى" هذا يتوافق مع بما جـاء بـالقرآن الكريـم فـى قولـه تعـالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[الشورى ١١]

وقوله تعـالى : ﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾[البقرة ١٥٢]

٢. فى وجوب التوجه بالعبادة والصـلاة لله فـى خشـوع وصمـت لأن الله الواحـد سميع وبصير .. فيقول "آنـى" : إذا صليت لله فـلا تجـهر بصلاتـك.

ويقول : "أدع بقلب محب ولا تجهر بصوتـك يسـتجيب الإلـه لدعـائك ويسـمع ما تقول ويتقبل قربـانك".

وهذا موافـق لمـا جـاء فـى القـرآن الكريـم فـى قولـه تعـالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾[الإسراء ٣٧-٣٨]

٣. فى وجوب التوجه بالعبـادة لله القـادر العظيـم والعـادل الرحيـم ، لأن الله هـو الفاعل على الحقيقة وهو الذى يجعل من يشاء عظيمـاً. وهـو الـذى يحقـق العـدل

ويرفع المظالم ويستجيب للدعاء ، وهو وحده الكفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل.

ويؤكد هذه المعانى الحكيم "آنى" حين يقول : كن شهما شجاعا فإن الجبان لا يستفيد من الحياة غير ما وهب الله له. ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل من شاء عظيما.. ومن أتهم زورا فليرفع مظلمته إلى الله فان الله هو الكفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل" .

ويقول "آنى" أيضا : أخلص إلى الله فى أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك كفايته.

وفى القرآن الكريم تتردد تلك المعانى فى قوله تعالى : ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾[الأنفال ٨]

وفى قوله تعالى : ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق﴾[الشورى ٢٤]

٤. وفى وجوب حسن الخلق وبر الوالدين يقول "آنى" : لا تغضب أمك لئلا ترفع يديها إلى الله فيستجيب دعائها ، وأجعل نصب عينيك كيف حملتك أمك وأرضعتك وكيف ربتك".

وهذا يتوافق مع ما جاء بالقرآن الكريم على لسان لقمان الحكيم فى قوله :
﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين﴾[لقمان ١٣، ١٤]

٥. وفى وجوب التواضع وعدم الغرور والتكبر يقول "آنى" : ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل من يشاء عظيما.

وهذا موافق لما جاء بالقرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾[الإسراء ٣٧-٣٨]

ومع قوله تعالى : ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[الحديد ٢٣]

وقوله تعالى : ﴿إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾[النساء ٣٦]

٦. وفى وجوب البعد عن الشرور والمفاسد كشرب الخمر والزنا يقول "آنى" فى حكمه : "لا تتردد على محال الخمور احتراسا من عواقبها الوخيمة لأن لشارب الخمر فلتات يستفظع صدورها من نفسه متى أفاق" .

وهو دائما مبتذل محتقر عند الناس وحتى بين إخوانه الذين يشاركونه غروره وشروره . وهذا القول متوافق لما جاء فى القرآن الكريم من تحريم للخمر ووجوب البعد عنها فى قوله تعالى : ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر﴾[المائدة ٩٠-٩١].

٧. وفى وجوب البعد عن جميع المفاسد الخلقية وفى مقدمتها الزنا يقول الحكيم "آنى" "إياك أن تميل إلى امرأة فتلعب بدينك وشرفك ، ولا تحدث غيرك بشأنها فأنها كالماء العميق الذى لا يعرف له قرار ، فأن الشهوات طريق الموبقات. وإن الزنا لجرم عظيم.. وهذا متوافق مع ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[الإسراء ٣٢].

٨. وفى وجوب اتباع آداب الاجتماع الإنسانى من آداب الزيارة والاستئذان وغض البصر والالتزام بالاحترام يؤكد الحكيم "آنى" أن الزيارة لابد أن تبدأ بالاستئذان فيقول : لا تذهب إلى بيت إنسان بحرية بل أدخله فقط عندما يؤذن لك.

وهذا يتوافق مع قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾[النور ٢٧].

وفى وجوب غض البصر عند الزيارة يقول الحكيم "آنى" : لا تدخلن بيت غيرك ولا تمعنن النظر إلى الشيء المنتقد فى بيته الذى يمكن لعينك أن تراه والزم الصمت ولا تحدثن عنه لآخر فى الخارج.

ويقول أيضاً : وأجتنب كل ما ينـــافى الآداب وحســن الخلــق وغــض البصــر عن كل عيب وهذا متوافق مــع مــا جــاء فــى القــرآن الكريــم : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾[النور ٣٧]

ولقد استدل بعض الباحثين من هذا التشــابه بيــن أقــوال الحكيــم "آنـــى" ومــا جاء فى القرآن الكريم أن المصريين القدماء كـــانت لــهم كتــب ســماوية خرجــت مــن نفس اللوح المحفوظ الذى خرجت منه آيات الكتاب الكريــم وســائر الكتــب الســماوية.

وأن الحكيم "آنــى" نفسه قد أكد ذلـــك حيــن قــال "إذا استشــارك أحــد فأشــر عليه بما تقتضيه الكتب المنزلـــة"[1].

ثالثاً - الحكمــة والميتافيزيقــا :

لم تقتصـــر الحكمــة عنــد "آنـــى" علــى تحصيــل المعــارف والمعلومــات وتسجيلها ، ولم تقتصر على تقديم تصور للألوهية متوافـــق كثــيراً مــع مــا جــاء فــى القرآن والكتب الســماوية .

بل تضمنت الحكمة عنده على تصور ميتـــافيزيقى للحيــاة الآخــرة وعــالم مــا بعد الموت فقد استطاع الحكيم "آنــى" تصوير رحلــة الــروح إلــى العــالم الآخــر ومــا يصادفها من أحوال بعد انتقالـــها إلــى عــالم الخلــود.. واســتخدم "آنـــى" فــى هــذا التصور الخيال المجرد وقدرته على التـــأمل العقلــى واســتعان بمــا وصــل إليــه مــن معارف وأساطير ومعتقدات مصرية راسخة عـــن عــالم الخلــود والبعــث والحســاب ،

---

[1] راجع : القدماء المصريين أول الموحدين : د. نديم السيار جـــ١ ص ١٥٣ - ١٥٦ ، وما جــاء فى الأدب والدين عند قدماء المصريين .د. أنطون ذكرى ص١٦ ، والأدب المصرى القديــم .د. سليم حسن جـــ ١ ص٢٣٣ - ٢٣٥ ، وعلى هامش التاريخ د. عبد القادر حمزة م٢ ص١٧٢.

وعبر عن إيمانه العميق بهذه المعتقدات فقدم لوحة رائعة عن حياة الروح في عالم ما بعد الموت[1].

ويمكن القول أن تصور "آنـي" (الميتافيزيقى) في الألوهية وعالم الآخرة قريب الشبه كثيرا بما جاء في الأديان والقرآن وما ورد في قصة الإسراء والمعراج مع الفارق في كون الإسراء والمعراج معجزة إلهية للنبي ﷺ وتسرية له وتعليم أما تصور الحكيم آنـي فهو رؤية خيالية وتجربة روحية وعقلية وأن رحلة "آنـي" رحلة روحية فقط وتصور ما بعد الموت أما الإسراء والمعراج فهو رحلة جسدية وروحية ورحلة حياتية ورؤية عينية وحدثت في الحياة الواقعية بقدرة إلهية.

لقد تصور آني إنه مات وانتقلت روحه سابحة إلى العالم الآخر وعادت لتروى ما حدث لها بعد مفارقتها للجسد ومعاناتها أثناء عملية التحنيط والمراسم الجنائزية ثم أثناء رحلة المومياء إلى الشاطىء الغربي للنيل حيث يتم دفن المومياء وبعدها صعدت الروح في موكب الشمس عبر الفضاء حتى وصلت إلى المحكمة التحضيرية التي يتصدر منصتها اثنا عشر قاضيا يمثلون بروج السماء الإثنى عشر .. وفي هذه المحكمة تتعرف روح الميت على البرج الذي ينتمي إليه والذي كان مسيطرا على صفاته وسلوكه في الحياة ويتزود بنصائح ممثل البرج وتعاليمه التي تعينه على مصاعب الرحلة القادمة أو التالية بعد الحساب وهي رحلة الروح إلى عالم الخلود في السماء السابعة حيث تمر بسبع سماوات متعاقبات.

---

[1] يمكن الرجوع إلى بردية الحكيم "آنـي" المشهورة بعنوان رحلة إلى العالم الآخر والتي عرفت بالبردية المطولة لأن طولها يبلغ ثلاثون مترا وتوجد بالمتحف البريطاني بلندن كما يمكن الرجوع إلى كتاب الموتى للحكيم "آنـي" المشهور بالكاتب الجالس القرفصاء وبه وصف محاكمة الروح في الاعتقاد المصرى القديم.

ويصف "آنـــي" كل منها بالتفصيل ويصـــور مـــا تحتـــوى عليـــه مـــن كائنـــات ومخلوقات وما يتعلق بها وبكل منها أساطير وحكايات ومـــا يجـــب أن يتلـــى فيـــها مـــن تعاويذ وأدعية ويقول "آنـــي" "توجد في السماء الســـابعة محكمـــة الآخـــرة وفيـــها يـــتربع الإله "أوزير" على عرشه السماوى يشع النـــور مـــن جســـده ويضـــيء قاعـــة المحكمـــة بأكملها ويصف "آنـــي" إجراءات محاكمة الموتـــى [فـــى عـــالم الأرواح] ومـــا يتـــم فـــى عملية ميزان الحسنات والسيئات ومـــا يقـــوم بـــه الملكـــان اللـــذان يســـجلان الحســـنات والسيئات والأسئلة التي يوجهها القضاة والأجوبـــة التـــى أعدهـــا مقدمـــا والدفـــاع الـــذى استعد به وكيف يصدر الإله "أوزير" فـــى نهايـــة حكمـــه بتســـجيل ولادة "آنـــي" [ولادة روحه من جديد] فى عالم الخلـــود.

وينتقل بعد ذلك "آنـــي" من المحكمة إلى وصـــف جنـــة الخلـــود ويصفـــها بأنـــها مكونة من سبع طبقات أو سبع جنـــات تبـــدأ بجنـــة الأبـــرار ثـــم جنـــة شـــهداء حـــرب العقيدة ثم جنة المرسلين وجنة الملائكة ، ثم تستمر الـــروح صعـــودا حتـــى تبلـــغ أعلـــى درجات الجنة وهى جنة النور التى يقوم فيها عـــرش الإلـــه .

ويصف "آنـــي" أنهار الجنة وهى نهر مـــن الخمـــر وآخـــر مـــن اللبـــن ونـــهر من عسل ويصف حقولا من القمح سنابله من الذهـــب الخـــالص وبـــها ملابـــس لا تتســـخ ولا تبل وفيها شباب دائم وأجسام لا تعرف المـــرض أو التعـــب أو الفنـــاء وليـــس فيـــها أرواح خبيثة أو شريرة أو حيوانات كاســـرة أو حشـــرات[1].

نص نصائح الحكيم آنى :

- أدع بقلب محب ، ولا تجهر بصوتك يستجيب الإله لدعـــائك ويســـمع مـــا تقـــول ويتقبل قربـــانك .
- إياك ألا تقاوم الالتواء فى داخليـــة نفســـك .

---

[1] الكاتب المصرى : د. سيد كريم ص ٣٣ - ٣٥.

- إن جوف الإنسان أوسع من شـــونتى الغـــلال الملكيتيـــن يتســـع لكـــل جـــواب ، فتخير خير الحديث ، وتكلم صوابا واحتفظ بســيئة فـــى جوفـــك.

- تخير زوجتك حين الصبا ، وأرشدها كيف تصبح إنســـانة وعســـاها تنجـــب لـــك طفلا ، فإنها إذا أنجبت لك وأنت شـــاب اســـتطعت أن تربيـــه وتجعلـــه رجـــلا . وطوبى للرجل إذا أصبح كثير الأهل وأصبح يرتجى مـــن أجـــل أبنائـــه.

- لا تقس على زوجتك فى دارها إن أدركـــت صلاحـــها ولا تســـألها عـــن شـــىء أين موضعه الملائـــم.

افتح عينيك وأنت صامت تـــدرك فضائلـــها وإن شـــئت أن تســـعد فـــأجعل يـــدك معها وعاونها. فكثير من الناس يجهلون كيف يمنع النـــاس أســـباب الشـــقاق فـــى داره .

وقد لا يجد أحدهم مبررا للنزاع فيعمل على خلقـــه بينمـــا يســـتطيع كـــل إنســـان أن يوفر الاستقرار فى داره إذا تحكم سريعا فـــى نزعـــات نفســـه. ولكـــن أحـــذر أن تمشى فى طاعة أنثى أو تسمح لها بأن تســـيطر علـــى رأيـــك .

- لا تغضب أمك لئلا ترفـــع يديـــها إلـــى الله فيســـتجب دعاؤهـــا عليـــك وأجعـــل نصب عينيك كيف حملتك أمك ووضعتك وكيـــف ربتـــك.

- لا تتردد على محـــال الخمـــور احتراســـا مـــن عواقبـــها الوخيمـــة لان لشـــارب الخمر فلتات يستفظع صدورها مـــن نفســـه متـــى أفـــاق ، وهـــو دائمـــا مبتـــذل محتقر عند الناس وحتى بين إخوانه الذين يشـــاركونه غـــروره وشـــروره.

- لا تسأل عن صورة ربـــك.

- احتفى بإلهك وأذكره – فان الله يغضب على مـــن يســـتخف بـــه وقـــرب قربـــانك لله شـــكرا.

- إذا صليت لله فلا تجـــهر بصلاتـــك .

- وإذا استشارك أحد فأشر عليه بما تقضيـــه الكتـــب المنزلـــة.

- ضاعف الخبز لأمك واحملها إن استطعت كما حملتك فطالما تحملت عبئك ولم تتركك .. فإذا استتبت واتخذت زوجة واستقررت فى دارك ضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكيف كانت تربيتك كلها .
- لا تجبر نفسك على أن تشرب زق جعة فإنك إذا شربته عجزت عن البيان وتكلمت لغوا لا تدرك معناه.
- لا تأكل طعاما وغيرك واقف دون أن تحث الخطى إليه وتمد يدك بالطعام إليه ، وسوف يعرف ذلك لك إلى الأبد.
- لا تبحث أسرار ملكوت ربك فهى فوق مدارك العقول .
- خاف من الله واتق غضبه ، لا تفعل ما يكرهه ربك وأحفظ وصاياه وإرشاداته فإنه يرفع من يمجده.
- دع عينيك تعرف قيمة ربك ، واحترم اسمه لأنه الذى يعطى القوة لجميع المخلوقات.
- كن شهما شجاعا فإن الجبان لا يستفيد من الحياة غير ما وهب الله له.
- أخلص إلى الله فى أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك عنايته.
- ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل من يشاء عظيما.
- من أتهم زورا فليرفع مظلمته إلى الله ، فإن الله كفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل.
- إياك أن تميل إلى المرأة فتلعب بدينك وشرفك ولا تحدث ضميرك بشأنها فإنها كالماء العميق الذى لا يعرف له قرار فإن الشهوات طريق الموبقات وإن الزنا لجرم عظيم.
- لا تذهب إلى بيت إنسان بحرية بل أدخله فقط عندما يؤذن لك .

- لا تدخلن بيت غيرك ولا تمعنن النظـــر إلـــى الشـــىء المنتقـــد فـــى بيتـــه الـــذى يمكن لعينيك أن تراه. والزم الصمت ولا تحدثن عنه لآخـــر فـــى الخـــارج.
- وأجتنب ما ينافى الآداب وحسن الخلق ، وغض البصر عـــن كـــل عيـــب .
- فليكن أمنيتك أن تصبح كاتبا ، فالكتاب أعظـــم رزق تســـعى إليـــه وأعظـــم هبـــة يهديها الإله لمن يســـعى إليـــها ، لأن المعرفـــة المقدســـة هـــى أعلـــى مراتـــب المعرفـة.
- إن الكتاب أعظم قيمة من مسكن الحيـــاة حيـــث تشـــرق الشـــمس وأبقـــى خلـــودا من مقبرة حيث تغرب الشـــمس .
- يا بنى هل بيننا من يضارع أو فرا ؟ هل بينكـــم مـــن يتســـاوى مـــع "أمحوتـــب " يا بنى هل فى عصرنا من هو مثل "نفـــرى آختـــى" أو "بتـــاح حوتـــى "وكـــاخبر" وهم أعظم العظماء الذين تتطلع إليهم الأنظار وتنخفـــض أمامـــهم الـــرؤوس. يـــا بنى هل بينكم من يقول إنه مثل "بتـــــاح حوتـــب" أو "كـــاتريس"؟.[1]

---

[1] راجع الحكم والنصائح فى :

- التربية والتعليم فى مصر القديمة : د. عبد العزيز صالح ص ٩٦١٨١ ط ١٩٦٦.
- الأدب المصرى القديم جـ ١ : د. سليم حسن ص١٨٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨.
- الفن المصرى القديم جـ ١ : د. ثروت عكاشة ص ٢٦٤.
- الأدب والدين عند قدماء المصريين : د. أنطون ذكرى ص ٢٦ – ٣٦ .

خــون إنبـــو KHON ENBO
2052-2130 ق.م

"خــون إنبــــو" ، (خــو إن أنــوب .K H O IN ANOB) هــو القــروى الفصيح الذى عرفـــت قصتـــه وتناقلتـــها كتـــب الأدب والروايـــة والتـــاريخ ، وســـجلت مخاطباته (رسائله) إلـــى الملـــك "خيتـــى الثـــالث" ملـــك إهناســـيا فـــى أواخـــر الأســـرة العاشرة فى نهاية القرن الثـــــانى والعشـــرين قبـــل الميـــلاد آى بيـــن ٢١٣٠ إلـــى٢٠٥٢ ق.م وهى الرسائل التى سجلت موقف "إنبـــــو" مـــن قضايـــا العـــدل والحريـــة والشـــر والظلم ونظام الحكم وأحوال الرعيـــــة.

أولا - شهرة "إنبــو" التاريخيــة :

اشتهر "خو إن أنـــوب" (أنبـــو) بيـــن المؤرخيـــن ورجـــال الفكـــر والأدب بأنـــه أديب العصر الأهناس لأن كلماته التى كتبـــها صـــورت حقيقيـــة الواقـــع المصـــرى فـــى ذلك العصر وما يشعر به الفرد كما صورت بـ.ـقـــة أحـــوال الحكـــم والإدارة.

وعبرت عن حقيقـــة الظلـــم والإحســـاس بـــه وكيفيـــة تحقيـــق العدالـــة ، كمـــا تعرض لعوامل ضعف الدولة وأســـباب انـــهيارها وفـــي مقدمتـــها المســـاوى الأخلاقيـــة وفساد النظم الاجتماعيـــة والفـــوارق الطبقيـــة وطـــالب بمحـــو الظلـــم والشـــر وتحقيـــق العدالة وإعطاء كل ذى حق حقه وحماية الفقير من الحـــاكم الغنـــى الظـــالم[1].

والقول بـــأن شـــهرة "إنبـــــو" التاريخيـــة ترجـــع إلـــى طرافـــة قصتـــه وقـــوة حواراته والعصر الذى وقعت فيه قـــول دقيـــق لأن أحـــداث هـــذه القصـــة وقعـــت فـــى

---

[1] العصر الإهناسى : له عدة مسميات فى التاريخ : فهو عصر الاضمحلال الأول حيث بدأ في نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى ، واستمر حوالى ٢٥٠ عامًا سادت فيها الفوضى وانهار الحكم المركزى ودارت المعارك بين حكام الأقاليم وانتشر الفساد والظلم واختلت القيم الدينية والخلقية. وهـــو عصـــر التحرير حيث سعى حكام الأقاليم للتحرر من سلطان الحكم المركزى وتحقيق الاستقلال .

أواخر أيام الأسرة العاشرة فـــي أهناسـيا أيـام الملـك "خيتـي الثـالث" الـذى عـرف بحكمته وشجاعته ، وعرف بالفيلسوف الأخلاقـي حيـن سـجل مواعظـه لابنـه الملـك "مريكارع" في بردية مطولة رسـم لـه طريـق النجـاح وضـرورة أن يتحلـى الحـاكم بالشجاعة والحكمة ، وأن يلـتزم فـي سياسـته بـالعقل والقـانون وأنـه رغـم القلائـل وعدم الاستقرار حث ابنه على التعامل مع الجميـع بالرحمـة والعـدل ، وهـذه المبـادئ نفسها هي جوهر كلمات القروى الحكيم "خـون إنبـو" ورسـائله[1].

ومعروف أن العصر الإهناسـى كـان بدايـة الصـراع السياسـى فـي مصـر القديمة وثورة حكام الأقاليم الذين سـعوا للاسـتئثار بالسـلطة والحكـم فنشـب الصـراع وبدأت مرحلة من عدم الاسـتقرار والضعـف وانتشـر الفسـاد والظلـم واختلـت القيـم وتأثر المجتمع بذلك ، ونهض الحكماء ورجـال الديـن يحـذرون مـن خطـر الصـراع وتدهور القيم منذ ظهور الملك "خيتـي الأول" [مـرى أب رع] أوائـل الأسـرة العاشـرة وحتى "خيتى الثالث" آخر ملوك هذه الأسرة فـي أهناسـيا حيـث وقعـت أحـداث هـذه المحاورات واستطاع "أنبـو" تصوير هـذا الواقـع بصـدق وموضوعيـة أعجـب بـها الملك وأعجب بها الشعب فعاشت كلماته مـع الأجيـال حتـى الآن.

وتروى بردية القروى الفصيح أن "خـو إن أنـوب" [أنبـو] كـان يعيـش فـى قرية غيط الملح قـرب الفيـوم ويعمـل بالزراعـة والتجـارة ، وأن قصتـه الحواريـة بدأت عندما جمع هذا الفلاح البسـيط محصولـه وتجارتـه مـن النطـرون والأعشـاب والجلود والذهـب والحبـوب وحملـها علـى الـدواب وذهـب لبيعـها فـى العاصمـة أهناسيا. وفى طريقه مر على قرية "برفيفى" وبها ضيعـة أحـد كبـار موظفـي القصـر الملكي ويسمى تحوتي الذى كـان يديـر هـذه الضيعـة لحسـاب كبـير وزراء القصـر ويسمى "رنس بن مرو" الذى كان فى نفس الوقت قاضياً وكبـير أمنـاء القصـر.

---

[1] سميت حوارات إنبـو مع تحوتى نخت والقاضى باسم قصة القروى الفصيح والشكاوى التسعة والخطب كما جمعت بين القصة والحوار والحكمة وشجاعة الرأى في نفس الوقت.

ولما رأى "تحوتى نخت" بضاعة "خون إنبو" تعبر ضيعته وبها هذه النفائس طمع بها وقرر الاستيلاء عليها بالحيلة ، فأدعى أن دواب "أنبو" قد اعتدت على زراعته وانتهكت حرمة ضيعته وبالتالى يحق له الاستيلاء عليها وبالفعل تم له ذلك.

لكن القروى الحكيم أسرع بمقابلة كبير وزراء القصر وصاحب الأرض وهو القاضى "رنس" وأبلغه بالقصة واستيلاء "تحوتى نخت" على بضاعته ظلما وعدوانا

وكان لقاء "أنبو" مع "رنس" كبير الوزراء و"تحوتى" نخت فى العاصمة أهناسيا بداية للمحاورات واكتشاف بلاغة القروى وحكمته وقدرته على التعبير والاستدلال والحكم فى نفس الوقت.

وتبدأ المحاورات بمطالبة "أنبو" بحقوقه وبضاعته واتهام تحوتى نخت بالسرقة.

- قال "أنبو" بصوت عال : أريد حقى وبضاعتى.
- فنهره تحوتى نخت بقوله : لا ترفع صوتك يا فلاح أنت قريب من بلد رب السكون[1].
- رد عليه "أنبو" بقوله : تضربنى وتنهب متاعى وتوقف الشكوى على لسانى ثم نادى بصوت عال : يا رب السكون اعطنى إذن حاجتى حتى أبطل الصراخ الذى يغضبك.
- ثم عاود "أنبو" مطالبة "رنس" بحقه فى شجاعة لأن ذلك هو العدل وما يجب أن يكون عليه الملك وما يجب أن يكون عليه البشر من قناعة وصدق.

---

[1] رب السكون فى ذلك الوقت هو أوزير ، وكان له ضريح قريب من برفيفى يهابه الناس ويحترمونه.

وعندما أدرك "رنس" الحقيقة وأدرك في نفس الوقت بلاغة القروى وقوة حجته أعجب به وأبلغ الملك بما رآه وسمعه منه فسر الملك لهذه الطلاقة والشجاعة والقدرة على الوصف والبيان وطلب من كبير أمنائه "رنس" أن يستثيره ليكتب المزيد من الآراء ووصف أحوال العباد ومدى ظلم الأمراء ، وكيف علل ذلك بسوء أحوال البلاد وفساد الأخلاق وعدم الالتزام بالقيم والمبادئ والقوانين.

والواقع أن شهرة "أنبو" التاريخية ترجع إلى شخصيته من جانب وأراءه التى جاءت فى رسائله من جانب آخر .

حيث كان العامل الشخصى المتمثل فى ذكائه وشجاعته السبب الأول فى إعجاب الوزير "رنس" والملك "خيتى به" ، حيث كان "أنبو" صورة للمواطن الشجاع الذى يواجه الملك ورجال البلاط فى شجاعة وإصرار على المطالبة بالحق ، وكان ذكاؤه وحسن إدارته للحوار وأسلوبه المتميز يعكس مدى حكمته وذكاؤه حين عرض الموضوع بصورة كلية مترابطة ومنطقية معللا الأسباب الحقيقية وراء الظلم والقهر والعدوان ، ولم يقتصر "إنبو" على المطالبة بحقه بل قدم وصفا دقيقا للمساوئ الاجتماعية وعوامل الفساد والطريقة المثلى لتحقيق العدالة والأمن والاستقرار ، واستطاع بالمنطق والحجة مواجهة كل من القاضى وتابعه بأخطائهم ودعاهم إلى التمسك بالقيم والمبادئ ومراعاة الحقوق والواجبات وكيف يتغلب الفرد على شرور نفسه وهواه.

ومنذ اللقاء الأول أو الرسالة الأولى التى حملها القاضى "رنس" للملك والتى تضمنت استعطافا رقيقا ووصفا دقيقا مقنعا للوقائع فى إطار الوضع الاجتماعى والحالة النفسية للموطن حين تسوء الأحوال ويطمع الكبار فى أملاك الصغار وحقوقهم وماذا يشعر الفرد عندما يفقد الأمان . وكان تسلسل الأفكار وقوة الحجة وحسن البيان ما جعل "رنس" يطلب المزيد من الشرح والتوضيح والمزيد من الوصف والتعليل لإبلاغ كل ذلك إلى الفرعون .

أما شهرة رسائل "أنبو" وحواراته فترجع إلى عدة عوامل منها :

- إنها أصبحت من عيون التراث المصرى الخالص الذى يدرس بالمدارس والمعابد فعرفتها جموع الشعب ومختلف الطبقات وذلك لأنها كانت مجموعة من الآراء والمواقف والحوارات التى تميزت ببلاغة الأسلوب والصدق فى التعبير ، وجمعت بين الفصاحة والسخرية والصدق والتهكم مما أكسبها مكانة خاصة فى وجدان وفكر قدماء المصريين الذين شاع لديهم هذا النوع من القصص والمواقف ذات البعد النقدى والاجتماعى الواضح وعشقهم لهذا الأسلوب البلاغى وشجاعة الفكر[1] .

- إنها نجحت فى تصوير جانب هام من الحياة الاجتماعية فى مصر والصراع الطبقى وانتصار الخير على الشر والعدل على الظلم ، واثبات الحقائق الأبدية بأن صاحب الحق لابد أن يناله وأن الظالم لابد أن ينال جزاء ظلمه وأن الحاكم الشجاع هو الذى يراعى العدل دائما ، فكانت الحوارات صورة تجمع بين الواقع والأسطورة التى تجذب الانتباه وتحرك المشاعر ، ولهذا حرص الكتاب والحكماء استخدامها ضمن مواد أو مقررات تدريب الذاكرة حيث تداولونها فى مجالسهم ومناسباتهم القومية والشعبية والاحتفالات فاستمرت فى الذاكرة عبر العصور وحتى الآن .

- إنها صورت مدى تقدم وتطور الفكر المصرى وأثبتت حقيقة اهتمام جموع الشعب بالتعلم والقدرة على التعبير والكتابة وتمسكهم بالحكمة والقيم إلى جانب اهتمامهم بالعمل اليدوى سواء كان زراعة أو صناعة أو تجارة.

- إنها جمعت جوانب الحكمة نظرية أو عملية من دين وأخلاق وسياسة وأدب وهى الموضوعات التى كانت تستخدم فى تمرين الذاكرة لتثبيت المواعظ والقيم واستلهام الحكمة وتعليمها وحرص الأباء على تلقينها للأبناء ، وهذا التذكير بالموعظة والحكمة كان من أهم مميزات الشعب المصرى دون غيره من الشعوب.

---

[1] الشرق الأدنى القديم حـ ١ ، ص ٣٩٥ & الكاتب المصرى ص ١٨٥.

- إنها قدمت مفهوما عمليا للعدل وحقيقته يرتبط بالضمير الخلقى فالعدل عند "أنبو" مساواة فى جميع الحقوق والواجبات. وهو غاية كل حاكم وقاضى وصاحب ضمير فالعدل عنده يجب أن يكون هدفا وقيمة ورابطة ضرورية ومسئولية مشتركة وإطار عام يجب أن يحكم العلاقة بين أفراد المجتمع ، كما إنها صورت انتصار فضيلة الشجاعة عندما يتحلى بها صاحب الحق ويسعى إليها عند من يستغله أو يسلبه حاجته إذا كان ذا سلطة وقوة كما نبهت لأسباب انهيار الدول ومقومات بنائها.

وهكذا نجحت محاورات "خون أنبو" وشجاعته وقوة حجته فى تدعيم القيم الاجتماعية وتحقيق اليقظة الفكرية ، وكانت صورة صادقة للنقد الاجتماعى الهادف وترجمة صادقة للدعوات الإصلاحية التى تزعمها بعض الكهان والحكماء أو بعض الملوك الإصلاحيين الذين دعوا إلى إقامة الحكم على العدل والمساواة.

ثانيا - حوارات خون إنبو ورسالاته التسع :

(١) الرسالة الأولى جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض.
أنت تجيء كنور الحق وبمجيئك يختفى ظلام الباطل .
أنت تجيء كالشبع وبمجيئك ينتهى الجوع .
أنت تجيء كالثياب وبمجيئك ينتهى العرى .
أنت تجيء كماءنهر الحياة وبمجيئك ينتهى الظمأ.
أنت كالنسمة الصافية تجيء بالهدوء بعد العاصفة الهوجاء.
فأنت الدفء لمن أصابه البرد .
أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض .
لا تكفر بتلك النعم التى خصك بها الإله .
إن العدالة فى حكم الناس مسئوليتك أمام الإله .
إنك مسئول عن كل شيء ومسئول عن اختيار قضاتك
وقضاتك مسئولون أمام الإله .

تعقيب :

دارت هذه الرسالة حول العـدل وأثـر العدالـة الإيجـابى ومسـئوليات الحـاكم العامة فى اختيار القضاة وتطبيق القوانين لان الكل مسـئول أمـام الإلـه .

وفيها ركز "أنبـو" على الآثار الحسـية المترتبـة علـى تطبيـق مبـدأ العدالـة فإذا ما تحقق العدل ساد النور واختفى الظـلام وسـاد الشـبع واختفـى الجـوع والفقـر وشعر الناس بالأمـان والاسـتقرار وعرفـوا معنـى السـعادة فـى الـهدوء والـدفء والأمان فعندها يجب الشكر للإله الذى أمر بـالعدل وأنعـم علـى جميـع البشـر الذيـن أطاعوه وتحملوا مسئولية العدالـة والحـق .

وعندما قرأ القاضى "رنس" هـذه الرسـالة أعجـب ببلاغتـها وتناسـق كلماتـها وحسن اختيار كلماته فى التعبير عن العدل والحـق ، أدرك صدقـها فأسـرع بـها إلـى الفرعون وأخبره بالقصة وموقف هذا القـروى الشـجاع الفصيـح .

وعندما دخل القاضى "رنس" بالرسالة قال : مـولاى لقـد وجـدت واحـدا مـن أولئك القرويين جيد الكلم يتحـدث بـالصواب وقـد نـهب متاعـه وأتـانى يتظلـم إلـى وأطلعه على محتوى الرسالة الأولـى .

- فرد الفرعون "خيتى الثـالث" قـائلا : "اسـتحلفك بحـق مـا تحـب أن ترانـى معافى أن تؤخره هاهنا ولا تعقب على شـىء يقولـه عسـاه يواصـل الحديـث ثم يؤتى إلينا بحديثه مكتوبا فنسمعه بشـرط أن تتكفـل بـرزق زوجتـه وعيالـه دون أن تشعره بأنك أنت معطيـه.
- وعلى الفور رجـع "رنـس" إلـى القـروى "أنبـو" ليواصـل اسـتفزازه لـه ليواصل "أنبـو" حديثه وشكواه ويكتب مـا يريـد .
- وبالفعل بدأ "خون أنبـو" كتابة رسالته الثانيـة فـى المطالبـة بحقـه ووصـف أحوال البلاد والعباد وأسباب الفساد ، وانتقل مـن موقـف الاسـتعطاف والمـدح إلى موقف النقد والتحليل فـأنذر القـاضى ورجـال الحكـم مـن خطـر الفسـاد والظلم وأنذرهم من انتقام الشعب والإله من كـل قـاضى خـرب الذمـة ودعـا الحكام والقضاة الالتزام بالعدل والحق والوقـوف بجـانب المظلـوم .

(٢) الرسالة الثانية جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض .

إذا كنت حقا أبا لليتيم وزوجا للأرمل وأخا للمطلقة ورداء لمن لا أم له ، فشجعنى على أن أنشر سمعتك فى هذه الأرض بما يتفق مع كل قانون قويم . وعساك أن تكون حاكما بريئا من الجشع ونبيلا منزها عن الدنية.

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض .

عليك أن تزهق الباطل وتحق الحق وتلبى نداءه .

وها أنا ذا أقول لك وأنت تسمع ، فأقم العدل أمدحك ويمدحك المادحون وأزل معاناتى فقد ثقلت واحمنى فقد ضعفت.

تعقيب :

دارت هذه الرسالة حول أثر العدل الاجتماعى وأن العدل هو القانون القويم عندما ينتشر ويسود أنحاء المجتمع وأن متطلبات العدل لا تقتصر على تطبيق القوانين فمن العدل إعالة اليتيم والمسكين والأرملة ، ومن العدل إعاشة المحتاج والفقير ، ومن العدل حماية الضعيف وأمنه ويجب أن يكون الحاكم عادلا فلا يطمع ولا يظلم ولا يقهر .

وقد عبرت هذه الكلمات وصدقها عن معرفة "إنبو" بواقع الشعب الأليم وأن "إنبو" لم يطالب بحقه فقط ولكن يطالب بالعدل والحق للجميع ، لكل مظلوم ومحتاج ويتيم ، ومن ثم أراد القاضى أن يستحثه على كتابة المزيد من الرسائل ليسمع الملك حقيقة أوضاع شعبه ومشاعرهم وقيل أن القاضى أمر بضرب القروى الفصيح حتى يستمر فى كتابة شكاواه والتعبير عن مشاعره ، وأفكاره.

وهكذا بدأ يكتب رسالته الثالثة الموجهة نحو القاضى نفسه وهى تعكس مدى إصرار "إنبو" على المطالبة بإقامة العدل والمساواة وكشف مساوئ المجتمع .

(٣) **الرسالة الثالثة جاء فيها :**

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض .

لقد ضل ابن مرو طريقه (أى القاضى "رنس بن مرو")

وعمى وجهه عما يراه ، وأصيب بالصم عما يسمعه

وضل ضميره عما يذكر به .

أيها القاضى : إنك أشبه بقرية بغير عمدة أو جماعة لا كبير لها أو مركب لا ربان فيها وعصبة لا هادى لها .

أيها القاضى : أنت نبيل نهاب وحاكم مرتشى وكبير لمنطقة كان ينبغى أن يمنع الاختلاس ولكنه أصبح نموذجا لمن يود أن يختلس .

أيها القاضى : أنظر إنك الرئيس وبيدك الميزان .. إذا أختل هذا الميزان أختل مركزك أمام الناس وأمام الإله .

أيها القاضى : لا تول وجهك للظالم ولا تول ظهرك للمظلوم فالإله يراك.

أيها القاضى : إنك صانع العدل ومن يصنع العدل لا يمكنه أن ينحرف عنه ، إنك تمثل القلم والمحبرة ولفة البردى فلا تترك قلمك يسطر إلا ما يميله عليك ضميرك. إنك تحاسب الناس فأحكم بالعدل ولا تنسى أن أحكامك ستحاسب عليها عندما يحاسبك الإله فى ميزان الأخرة.

أيها القاضى : استمع إلى صوت المظلوم قبل استماعك إلى صوت الظالم إنك دفة السماء فلا تنحرف وسارى الأرض فاستقم .

تعقيب :

صورت هذه الرسالة قدرة "أنبو" على النقد والتحليل ، كما صورت شجاعته فى التعبير عن الرأى فوصف القاضى "رنس" كبير قضاة القصر الفرعونى ، بالعمى عن الحق والضلال وعدم الضمير والضعف عن اتخاذ القرارات الصائبة وآثر ذلك فى اختلال الأمور وانتشار الفساد والظلم. كما وصفه بالنبيل النهاب والحاكم المرتشى.

كم نجح "أنبو" فى هذه الرسالة فى إثارة عواطف القاضى وتحذيره من عقاب الإله الذى يعاقب الظالم الذى يمنع العدل ولا ينصر المظلوم ولا يستجيب لضميره.

إنها كلمات شجاعة تدل عن معرفة وثقة وإيمان بضرورة تطبيق العدل وانتشار السلام والأمان بين الجميع.

وأكدت هذه الرسالة مدى عمق الإيمان بعدالة السماء وبحقيقة الإله الذى يسمع ويرى ويحاسب ومدى انتشار معتقد الجزاء والحساب على الأعمال ..

وهى تقرر أيضا مدى مسئولية الرئيس والقاضى وإنها مسئولية عظيمة لأن العدل واجب وقيمة تحفظ على الرئيس قيمته وإذا انحرف عن العدل اختل مركزه أمام الناس وأمام الإله.

وإن من العدل حسن الاستجابة والسمع وإقرار الحق وقول الصدق واتباع الضمير لأن العدل من أفضل الأعمال الذى يحاسب عليها الإله.

ولهذا طالب "إنبو" القاضى بأن يحكم بالعدل وأن يتذكر بأنه محاسب على أحكامه فى الآخرة كما يحاسب الناس فالعدل دفة السماء التى لا تنحرف ، والقاضى العادل هو دفة الأرض التى يجب أن تكون كذلك.

(٤) الرسالة الرابعة جاء فيها :

أيها القاضى : لقد انفلت العدل من تحتك وأقصى عن موضعه
والموظفون يشاغبون والموعظة الحسنة أهملت ، وهاهم
القضاة يتخاطفون ما سلب منى.

أيها الدقة لا تنحرف وأيـــها السـند لا تميــل وأيـــها الخيــط لا تتذبـذب.

أيها القاضى : هاأنت رئيس وبيـــدك مـــيزان.

إذا اختل الميزان فـــأنت مختــل ولســانك مــن لســانه وقلبــك صنجته وشفتاك فيـــه .

فإذا سترت وجهك عمن يطفف فمن يرفـــع العـــار.

أيها القاضى : أقم العدل لرب العدل الذى عـــدل عدالتـــه موجـــود.

ويا قلم تحوتى وقرطاسه ولوحته تـــنزهوا عـــن عمـــل الســـوء فإنما الخير بالخير والحسنى لها ما هو أحســـــن منــــها.

والعدل خالد إلى الأبد يهبط مـــع صاحبـــه إلـــى الجبانـــة فـــإذا دفن احتوتـــه الأرض .

أيها القاضى : من يكون سندا لا ينبغى لـــــه أن يميـــل.

ومن يكون ميزانا لا ينبغى لـــه أن يتذبـــذب.

وسواء جئت أنا أم آتى غـــيرى وجـــب عليـــك أن تتحـــدث ولا تنصت إلى هكذا كما لو كنت أحادث شـــــخصا أخـــرس.

أيها القاضى : قل الحق إذن وأفعل الصــــواب فـــالعدل عظيـــم.

تعقيـب :

حدد "إنبـــــو" فـــى هـــذه الرســالة معيـــار النجـــاح للرئيـــس وأســـباب الخلـــل والضعف كما حدد مسئوليات القاضى حين وصفه بأنـــــه رســـول الملـــك والدقـــة والســـند والميزان ودعا المسئول أن يقيم العدل لا من أجل شخص بـــل مـــن أجـــل الإلـــه العـــادل فقال للقاضى أقم العدل لرب العدل الذى عـــدل عدالتـــه موجـــود.

ودعا أهل الحكمة والخـــير وأصحـــاب المعـــارف أن يتـــنزهوا عـــن المســـاوئ وأن يتمسكوا بأفعال الخير فذلك جـــزاء العـــدل.

وأوضح "أنبـــو" أن العـــدل مـــن القيـــم الخـــالدة الدائمـــة وأن العـــدل عظيـــم وباق لأنه أفضل الأعمال ، وأن مـــا ينبغـــى أن يكـــون هـــو أن يكـــون القـــاضى سـندا وعونا وميزانا لا يميل ولا يظلـــم وإن إقامـــة العـــدل مـــن الواجبـــات التـــى لا تؤجـل ، فالعدل قول الحق وفعل الصواب ولهذا فـــالعدل عظيـــم .

(٥) الرسالة الخامسة جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض :

إنك رب العدالة وأعظم العظمـــاء

إنك إذا نزلت بمركبك فى نهر العدالة فستملأ الريح قلاعها فلا يتمزق شراعك ولـن يصيب سفينتك الخلل ولن تقطع حبال مراسيها ولن يجرفها التيار فيختل ميزانها.

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض :

إن رجل العدالة هو الأب لليتيـــم والرجـــل للأرملـــة والأخ لمـــن هجـــره أهلـــه وهو الستر لمن لا أم لـــه.

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض :

إن حياة الفقير فى ماله فمن أخذه منه فقـــد خنقـــه. إن أمـــان الفقـــير فـــى أمـــن بيته فإذا فقد أمانه كمن أحترق بيتـــه.

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض :

إذا جف ماء النهر ونهر الأمـــن فكيـــف تتمكـــن الســفينة مـــن عبـــوره وكيـــف يسترد الفقير والمظلوم حقه الذى وضعتموه علـــى الشـــاطىء الآخـــر مـــن نـــهر العدالة والحق الذى جف مـــاؤه.

تعقيب :

هذه رسالة عتاب وتنبيه للملك بأهمية الـــتزام العـــدل وتطبيـــق قوانيـــن العدالـــة وهى نداء صريح لإنقاذ البلاد من الخلل والمســـاوئ والانـــهيار والمنقـــذ مـــن كـــل ذلـــك هو الضمير اليقظ والحاكم العـــادل.

وهى نداء للملك أن يستيقظ وأن يكون نصيراً للعدالة وبأن يكون أبا لليتيم وأخاً وعوناً للمحتاج والضعيف والمقهور.

وهي نداء لتحقيق الأمان والاستقرار ودعوة للإصلاح وما يجب أن يكون عليه الملك العادل من صدق وإخلاص ومروءة وتعاون.

وهى تحذير من الخطر الذى يتهدد الأمة عندما يضيع الحق ويقهر المظلوم ويعدم الفقير .. فلا مال ولا بيت ولا أمان .. إنها تنبيه للملك من أن أحوال العباد فى حاجة إلى العدالة واليقظة والضمير حتى يسترد المظلوم والفقير حقه وتصل السفينة عبر نهر العدالة إلى بر الأمان.

(٦) الرسالة السادسة جاء فيها :

أيها الملك العظيم : أنظر كيف انهارت العدالة تحت قدميك وأنهار سقف العدالة ليتساوى بالأرض.

لقد سقطت كفتا الميزان الذى تحمله فكيف ستصل إلى الحق وميزان العدالة قد اختل وهو بين يديك.

أيها الملك العظيم : أن القضاة يسرقون ولا يصاحبون غير أهل الظلم ويغلقون أبوابهم ويسدون آذانهم أمام المظلومين وإذا سرق القاضى عم الفقر البلاد وإذا هربت العدالة عم البلاد الفساد.

أيها الملك العظيم : أن كبار الموظفين يأتون السيئات ولا يمدون يدهم لمساعدة الفقراء وصغار الموظفين يمدون يدهم بالرشوة يغتصبونها من الفقراء المحتاجين.

أيها الملك العظيم : أنت مسئول عن كبار أشرافك ومسئول عن رعاية الفقراء ونشر العدالة بين الناس فأسأل عن سبباً لفساد قضائك ، فالكذب مرعاهم الخصيب

وقلوبهم عامرة بالسهوى ولا وقت عندهم لسماع صوت الفقير وإنصافه.

أيها الملك العظيم : ليس فى محكمة عدالة الأرض مكان لسماع شكوى الفقير ، ومحكمة السماء هى المحكمة الوحيدة التى عليه أن يتقدم بشكواه ليرفعها إليها.

تعقيب :

في هذه الرسالة عتاب شديد من "إنبو" موجه للملك الحكيم "خيتى" والقاضى "رنس" وفيها أيضا وصف دقيق لموقف القاضى ورجال القصر من الرعية وأصحاب الحاجات وفيها أيضا اتهام واضح لكل من يتخلى عن المسئولية بحكم وظيفته فيخون الأمانة وفيها أيضا إشارة إلى أهم أسباب الفساد وانهيار حالة الاستقرار والأمن وفى مقدمتها انتشار الرشوة والظلم واختلال ميزان العدالة والتميز الطبقى – فالقادر والغنى لا يساعد الضعيف والفقير ، فالكل يتخلى عن مسئوليته ابتداء من الحاكم حتى صغار الموظفين المرتشين والقضاة .. ليؤكد "أنبو" أن اختلال ميزان العدل وانتشار السرقة والرشوة والخيانة وانتشار المفاسد وسؤ الخلق مقدمات لانهيار الدولة والحكم. وبعدها تهرب العدالة من الأرض ويعم الفقر والفساد ويلجأ الفقراء إلى محكمة السماء وحدها.

(٧) الرسالة السابعة جاء فيها :

أيها القاضى : إن الموت يدرك الغنى والفقير على سواء.
فلا تظن إنك خالد فالخلود يبدأ بعد خروجك من محكمة الآخرة وفيها ميزان عدالة السماء.

أيها القاضى : لا دوام للكرسى الذى تجلس عليه ، فقد جلس عليه من قبلك وسيجلس من يأتى بعدك.

أيها القاضى : إذا غرقت سفينة العدالة فكيف تعبر النهر هل ترى أن نعبره بأقدامنا وهل ذلك ممكن.

أيها القاضي : إن البستاني الذى يروى أرضه بـــالخبث ويزرعـــها بالشـــر لا يحصد إلا البهتان ولا ينتج لبستانه ســـوى الرذائـــل .

أيها القاضي : لا أمان لمن لا يكترث بالناس ولا صديـــق لمـــن يصـــم أذنيـــه عن الحق . ولا سعادة لمن عاش علـــى الجشـــع.

أيها القاضي : لا تغمض عينيك عما تعـــرف ولا تتجـــاهل مـــن يقصـــدك ولا تنهر من استجار بـــك.

تعقيـــب:

فى هذه الرسالة تحدث "إنبــــــو" عـــن عدالـــة الســـماء التـــى لا تفـــرق بيـــن حاكم ومحكوم أو غني وفقـــير ومثـــال تلـــك العدالـــة المـــوت بوصفـــه القـــدر المحتـــوم العادل الذى يؤكد أن كل مخلوق لابـــد أن يفنـــى وأن الخلـــود لا يكـــون إلا مـــع البعـــث فى الحياة الآخرة وبعد الحساب حيث تطبيق عدالـــــة الســـماء.

وتحدث أيضا عن سنة التغير بيـــن الأحيـــاء والأشـــياء وأن المنـــاصب الدنيويـــة لابد أن تزول وتتغير فلا يبقى رئيس فى مكانـــــه ولا حـــاكم أو مســـئول فـــالكل لابـــد أن يتبدل والعدل وحده الباقي والمنقذ ، فإذا غرقـــــت ســـفينة العدالـــة فـــلا ســـلام ولا أمـــان ولا استقرار ولا بناء ولا نجاة للفـــرد أو الجميـــع.

وأكد "إنبـــــو" أن حقيقة الشر والخير فـــى عمـــل الإنســـان وهـــى نـــاتج النيـــة والقصد والعمـــل وأن فـــى الخـــير الأمـــان والســـعادة وفـــى الشـــر والجشـــع الخـــراب والدمـــار.

وكل هذا تحذير من "خـــون إنبـــــو" للقاضى مـــــن ســـؤ العاقبـــة فـــى الآخـــرة والندم فى الدنيا فى إشارة إلـــــى أن العـــدل هـــو طريـــق الخـــير وأن حســـن الاســـتماع وسرعة الاستجابة له أفضل من العناد والطمـــــع فالســـعادة مـــع الصـــدق والخلـــود مـــع الحق والنجاة مع العـــدل.

(٨) الرسالة الثامنة جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض :

كما أن الأب مسئول عن أولاده فالكبير مسئول عن الصغير والحاكم مسئول عن المحكوم ، والرئيس مسئول عن مرءوسيه ولو شاء الإله لجعلهم على درجة واحدة وبذلك حياة المجتمع.

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض :

إن الظلم ظلام القلب الذى يفتقد به الحاكم النور الذى يرى به المظلوم أو يرى نفسه ولا يرى الإله الذى لا تغفل عينه عن مراقبة أعماله ووضعها في ميزان الحساب.

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض :

إن همس المظلوم أعلى صوتا من صراخ الظالم إذا تغلب الشر على النفس أصبح الإنسان أسيرا لهواه وعبدا للغرائز .

تعقيب :

هذه الرسالة دارت حول المسئولية ودرجاتها وأهمية عدالة القضاء ..

وفيها حدد "خون إينو" القواعد الأخلاقية وكيفية تحصيل الخير كقيمة دائمة تشعر الفرد بالسعادة فالسعادة لا تتحقق بالشر والظلم بل تتحقق مع الخير والعدل ويقظة الضمير وحصول الرضا النفسي.

كما حدد "إنبو" أقسام المسئولية حسب الحجم والقدر فمسئولية الحاكم والأب أخطر وأعظم لأنها مسئولية الحساب ورفع الظلم وتحقق العدل ، وهذه المسئولية تتطلب دوام المراقبة والمتابعة والمساواة بين الجميع ومراقبة الإله ويقظة الضمير. فكل ذلك من الخير أما الشر فهو مرض عضال يصيب النفس ويجعل الإنسان عبدا للهوى والشهوة.

كما تثبت مدى عمق الإيمان الشعبي بالبعث والحساب والجزاء وأن الخلود والسعادة الحقيقية ليست في عالم الدنيا بل في عالم الآخرة حيث المثل الخالدة للعدل والحق

والحساب الدقيق من الإله العظيم العادل الذى لا تغفل عينيه عن مراقبة أعمال البشر ومجازاتهم عليها فى الدنيا والآخرة.

(٩) الرسالة التاسعة جاء فيها :

أيها القاضى "رنس" : لا تكن بطيئا وعجل بقضاء الحق.

أيها القاضى "رنس" : لا تتحيز ولا تطع قلبك ولا تتجاهل من يقصدك.

أيها القاضى "رنس" : لا تغمض عينك عما تعرف ولا تنهر من إستجارك فلا أمان لمن لم يكترث بالناس ، ولا صديق لمن يصم أذنيه عن الحق ، ولا سعادة لمن عاش على الجشع.

أيها القاضى "رنس" : أنظر إننى قد تقدمت بشكواى فلم ينصت إليها أحد ولم يعد أمامى إلا أن أتقدم بشكواى إلى "أنوبيس" إله الموت ليرفعها إلى "أوزوريس" قاضى محكمة الآخرة إنى الآن متلهف إلى الموت بعيدا عن العيش مع الأحياء.

تعقيب:

هذه الرسالة الأخيرة والتى عبر فيها "إنبو" عن مشاعر اليأس والرجاء فى إنهاء مشكلته وحصوله على جميع حقوقه -- كما عبر عن أمله فى أن يستجيب القاضى لمطالبه والحكم بأحقيته فى ماله وتجارته وأراد أن يستحثه بدوافع العقل والحكمة والموضوعية ، فالموت أهون عليه من البقاء والعيش مع هؤلاء الأحياء الذين صموا آذانهم وقلوبهم عن العدل والحق .. وكانت صراحة "خون إنبو" مع القاضى "رنس" وشجاعته وما سجله فى رسائله من حكمة وموعظة وراء إسراع القاضى بالرسائل إلى الملك "خيتى" الذى عرف بحكمته وحبه للعلم والمعرفة ، فقرأ الملك الحكيم رسائل "إنبو" وأدرك صدقه وصراحته وما فيها من حكمة وبلاغة ومعرفة بدوافع الفساد والظلم وكيفية معاملة القضاء والوزراء لأصحاب الحقوق والفقراء وكانت عدالة الملك وإحقاق الحق غاية تحققت على يد الملك الذى أمر "رنس" بإحضار سجل الضرائب الخاص بالناحية التى يقطنها "خون إنبو" وأمر بالتحقيق مع "تحوتى نخت" وحصر أملاكه وما طرأ عليها من تضخم ، ثم أمر بعقابه وأن

تسلم ثروته للقروى الحكيم صاحب الحق ورد جميع ممتلكاته وبضاعته التى استولى عليـــها "تحوتى نخت" وعادت دوابه محملة بالبضائع والهدايا التى قدمها له الملـــك جـــزاء صدقـــه وحكمته وشجاعته[1].

---

[1] راجع حوارات إنبو فى :

- الكاتب المصرى : سيد كريم ص ١٨١ – ١٩٢.
- الشرق الأدنى القديم حـ ١ د. عبد العزيز صالح ص ٣٩٤ – ٣٩٧.
- مصر الفرعونية د. أحمد فخرى ص ١٨٠ – ١٨٤.

إخناتون A K HENATON

1382 - 1340 ق.م

أولا- نشأة إخناتون الفكرية:

نشأ إخناتون فى بيت علم وملك وحكمة فوالده هو الملك "امنحوتب الثالث" الذى حكم مصر حوالى ستة وثلاثين عاما بين ١٣٩٧ إلى ١٣٦٠ ق.م وأشتهر بقدرته على تحقيق الاستقرار والأمن ، وسمى عصره بعصر الرخاء والنهضة الفنية والمعمارية.

وإخناتون هو الملك "امنحوتب الرابع" الذى تولى الحكم فى أخر أيام والده وأدرك أسباب الضعف والقوة ، ومساوئ الانغماس فى حياة الثراء واللهو ، كما أدرك خطورة تعدد الآلهة وانتشار الأساطير والسحر والاعتماد على الخيال.

ويعتبر "إخناتون" أشهر ملوك الأسرة الثامنة عشر التى بدأت بعصر التحرير بقيادة الملك أحمس عام ١٥٧٠ ق.م وانتهت بآخر ملوكها "حور محب" عام ١٣٠٨ ق.م .

وقد استمر "إخناتون" ملكاً متوجا على عرش مصر حوالى واحد وعشرين عاماً منذ عام ١٣٦٧ إلى ١٣٤٦ ق.م.

ومنذ توليه الحكم اهتم بإصلاح شئون البلاد الداخلية والخارجية وكان الإنسان والمجتمع محور هذا الاهتمام ، وأدراك أن الإصلاح يتطلب موقف حازم ومنهج متكامل يشمل جميع الشئون السياسية والخلقية والاجتماعية والدينية.

ومن أجل ذلك كان له موقفة الحاسم من الكهان ورجال الدين الذين دأبوا على التدخل فى شئون الحكم واستغلال النفوذ والسلطة فى تحقيق الثروة والسيطرة الفكرية على عقول العامة.

وترجع شهرة "إخناتون" إلى موقفه من تعدد الآلهة ودعوته إلى التوحيد الخالص وما قدمه من أراء فى الحياة والموت والحكمة والدين ، وما حققه من

إصلاحات فى مجال الأخلاق والاجتماع ، ونجاحه فى القضاء على العديد من الخرافات والأساطير المتوارثة ، وكان نجاحه فى تدعيم القيم الخلقية والدينية وراء تسميته بالملك الفيلسوف.

ثانيا - فلسفة إخناتون الدينية ونتائجها العملية :

تميزت فلسفة اخناتون بخاصية الشمول لحقائق الوجود الإلهى والإنسانى والاجتماعى، وأنها عبرت بصدق عن اهتمام الإنسان بالتقاليد الراسخة والقيم الخلقية والجمالية وفى مقدمتها العدل والخير والحب والصبر والوحدة والالتزام ، وقد ظهر هذا بوضوح من خلال حرص إخناتون على التطبيق العملى لهذه الأراء فى مختلف المجالات السياسية والخلقية والاجتماعية والفنية.

كما تميزت فلسفته بخاصية البحث الميتافيزيقى من خلال اهتمامه بأصل الحقيقة أيا كان مصدرها أو مجال تطبيقها وخاصة المجال الإلهى فكانت الحقيقة هى وحدانية الإله الذى لا شريك له ولا شبيه له لأنه منزه عن الجسمية والمادية والصورة البشرية.

لذلك بدأ "إخناتون" دعوته بتحديد ملامح وصفات الإله الواحد الذى يجب أن يتوجه إليه الجميع بالعبادة فقال: إنه "آتون الواحد" الذى لا شريك له ولا محل لتعدد الأرباب فيه أو الربات إلى جانبه ليس هو "أمون" ولكنه "آتون" الذى يرمز إلى وحدانيته وتفرده بقرص الشمس الذى يعطى القوة والحياة والنماء الذى لا يميز فى عطائه بين كائن وآخر الذى يعرف الأسرار وحده ويهيمن على الوجود بكيانه ويضع كل شى فى مكانه.

وقد ترددت هذه المعانى فى أذكار "إخناتون" التى جاء فيها أيها الإله الواحد الذى لا شبيه له ما أعظم أعمالك التى عملتها إنها خافية على الناس ... لقد خلقت الدنيا كما شئت عندما كنت وحدك.

الناس والماشية والوحوش الضارية وكل ما على الأرض يسعى على قدميه وكل ما يرتفع فى السماء ويطير بجناحه. إنك تضع كل شى فى مكانة إنك

أنت الذى تمدهم بما يحتاجونه .. ويحصل كل شخص على طعامه وسنوات حياته مقدرة له.

ويؤكد "إخناتون" على صفات آتون الإله الواحد وقدرته ووجوب طاعته وتنزيهه عن المادة والجسمية والصورة فلا يرمز إليه بحيوان أو إنسان ، إنه "آتون" الذى يشهد الناس آياته دون حجاب (كشعاع الشمس) ولهم أن يعبدوه حيثما سقط من كوكبه على الأرض شعاع.

وإلى جانب ذلك يجب أن يتميز بصفات ليست فى البشر كالخلق والرعاية والقوة والحياة والجلال والبهاء والعظمة والبقاء ... فيقول "إخناتون" فى مناجاته : أيها الإله يا من تتجلى فى آفاق السماء.. أنت البديع .. أنت آتون الحى وأصل الحياة ... أنت البهى ... أنت الجليل ... أنت العلى فوق كل الأرض[1].

وتتكرر هذه المعانى فى تعاليمه وأذكاره فيقول : "أنت تطلع ببهاء فى أفق السماء – يا آتون الحى يا بداية الحياة عندما تبزغ فى الأفق الشرقى .. تملأ الدنيا بجمالك.

أنت جميل وعظيم .. أنت متلألئ وعالى فوق كل البلاد وتحيط أشعتك بالأراضى كلها التى خلقتها ... لأنك أنت رع.. بالرغم إنك بعيد فان أشعتك على كل الأرض ، وبالرغم إنك أمام عينهم فلا يعرف أحد خطوات سيرك[2].

ورأى إخناتون أن البشر يجب أن يعتقدوا بهذه الصفات وأن يتعبدوا ويناجو الإله بها فذلك الواجب لأنه الإله الذى يعلو جميع الكائنات والقادر على تحقيق الأمن والحياة لجميع البشر. لأنه هو الذى خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم وتكفل بأرزاقهم وحمايتهم وكان معجزا حين وهب

---

(٢٠١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٣٢٤ – ٣٢٥.

د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم حـ ٢ ص ١٠٣ – ١٠٤.

د. محمد عبد اللطيف : فكرة الخلق فى مصر القديمة ص ٣٣٤.

د. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ط ١٩٩٣ م : ص ٤٢ – ٤٣.

مصر فيضانا من الخفاء (أى العدم) كريما جـوادا حيـن وهــب غـيرهم فيضانــا مــن سحب السـماء.

ويستنتج "إخناتــون" من هذه الدلائــل والصفــات دليــلا عقليــا علــى وجـوب وحدانية الإله ووجوب عبادته فيقــول : "مــادام الخــالق الـرازق واحــدا رحيمــا هنــا رحيما هناك ، جوادا هنا جوادا هناك لا تفرق أشـعته بيــن فــرد وآخـر فلــم لا يجتمــع الناس على عبادته كما اجتمعوا على النفــع منــه.

وتظهر مثالية "إخناتــون" واضحة فــــى أذكــاره عندمــا يصــف "آتــون" إلــه الشمس بأنه عظيم الرحمة بجميع خلقـــه وأنــه كــالأم والأب فــى رحمتــه وأن عظمتــه تكون فى استقلال قدرته وإرادته وحبه وعطفه علـــى جميــع مخلوقاتــه التــى يجــب أن تتوجه إليه بالعبادة والشكر والعرفان فيقول فــــى أذكــاره[1]:

أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه لــــه.

الزهر ونبت الأرض يتفتح لمرآك وتتملكه النشــــوة لمحيــاك.

والأنعام تـــتراقص علــى أقدامــها والطيــور فــى أوكارهــا تطــوى أجنحتــها وتنشرها تسبيحا "لآتـــون" الحـــى خالقــها.

والأرض بأسرها عامرة بحب الإلـــه وكذلــك العشــب والشــجر حيــن يتمــايل لمرآى أنوارك والأسماك فى الماء تــــتراقص لرؤيتــك.

---

(١) Sand man : Texts from the time of AKHENATON (1938)

هذه الأذكار والتسابيح عرفت بالنشيد الكبير لإخناتون وهو عبارة عن أدعية وصلوات وتعاليم كان يدعـــو إخناتون قومه إليها وكان يتعبد بها وهو فى محرابه فى رحاب الكرنك.

راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية – ص ٣٢٤ – ٣٢٩.

د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ ١ ص ٣٦٣– ٣٦٤.

د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية ص ٢٣.

ولقد كان لهذه الآراء في الألوهية والتوحيد العديد من النتائج الإيجابية منها :

١. تحقيق وحدة الفكر والاعتقاد والقضاء على فكرة التعدد وتغلغل الفكر المادى وعبادة ظواهر الطبيعة والتى كان يتزعمها الكهان وأتباعهم الذين كانوا يعتقدون ضرورة التعبد لجميع الآلهة مع الاعتقاد بوجود الإله العظيم الذى فوقهم وهو "رع" أو "آمون" بوصفه كبير الآلهة.

وهذه الآلهة هى :-

- الإله الأعظم "رع آمون" إله الشمس.
- الإله "نينوت" إله الفراغ.
- الإله نوت إله السماء.
- الإله إيزيس إله العدالة والمحبة الأرضية.
- الإله نفتيس إله القاحلة والقحط.
- الإله سوا إله الهواء.
- الإله جيب إله الأرض.
- الإله أوزير إله النيل والحساب.
- الإله ست إله الصحراء .

وعلى ذلك كانت حقيقة الألوهية الواحدة والتعبد لإله واحد أكثر إقناعا مما كان يقدمه الكهنة ، وأثبتت عمليا وعقليا أن الولاء لأرباب عديدين هو الضلال والجهل بعينة، ونبه الناس إلى أن التعدد يبيح لكل ذى سطوة أو سلطان أو قوة خارقة أن يؤلهه الناس ويقدسوه ، بالإضافة إلى خطر الفرقة والانقسام من تعدد الآلهة وتوزيع الولاء والانتماء وتعصب كل أقليم للإله الخاص به.

٢. تعميق الشعور الدينى بمقدرة الخالق الأحق بالعبادة والتقديس على الأحياء والبعث والخلود والحساب ، لأنه وحده الذى يملك الإرادة والسيادة والعلم والحياة ، وهذا ما عبرت عنه تعاليم إخناتون صراحة حين يقول :

أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له .. أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر .. وأنت الذى يأتى به عندما تشاء ليفيض على الناس .. وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا ، سيدهم الذى يشغل نفسه من أجلهم .. أنت آتون

شمس النهار عظيم البهاء .. أنت عظيم بأعمالك كلها أنت خلقت الدنيا كما شئت عندما كنت وحدك ، وأنت تضع كل شى فى مكانه.

٣. إخضاع التدين لإعمال العقل وحجج المنطق والدليل ، وفى هذا استطاع "إخناتون" بأدلة العقل بيان مدى الاختلاف بين "آتون وآمون رع" من حيث الصفات والتنزيه عن المشابهة والجسمية ، ومن حيث الأدعية والأذكار التى يجب التعبد بها.

وأثبت أنه لا يمكن تصور الإله على هيئة محسوسة سواء بشرية أو حيوانية لأن ذلك نوع من التمويه والخطأ والبهتان لأن الإله يجب أن يكون القادر الذى لا يضعف والدائم الذى لا يغيب والخالد الذى لا يفنى ، وهو الذى لا تعدد فيه ولا جسمية وهو المتحكم فى جميع الكون والراعى لجميع المخلوقات وهو وحده المحاسب على الأعمال.

وبعد تحقق القناعة العقلية بالوحدانية أوجب "إخناتون" استخدام كلمة الإله مفردة وإلغاء كلمة الآلهة أو الأرباب.

كما أمر بنزع اسم "آمون" وإخفاء معالمه حتى لا يعود أحد للاعتقاد به أو بأى آلهة أخرى ، كما أزيلت أسماء الآلهة مثل "بتاح وحتحور وأوزير وإيزة ومونتو وجيب" كما محيى اسم النور المقدس[1].

٤. القضاء على العديد من العادات والخرافات والشعوذات وأعمال السحر وصناعة الدمى والتماثيل الصغيرة التى كانت تدر ربحا وفيرا على الكهنة ورجال الدين لاعتقادهم بأنها يمكن أن تؤدى الأعمال بدلا من الميت عند

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم حـ ١ ص ٣٦٣.
وفتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص ١٩ – ٢٦.
سعيد توفيق : استخدام الحاسب الإلكترونى فى ميدان الآثار تجربة معبد إخناتون مجلة كلية الآثار يناير ١٩٧٦م).

الحساب أو بعد الموت فى الحياة الآخـــرة ، وحـــل محلــها الدعــوات والأذكـــار التى تمجد الإله الواحد وتصور أيات القـــدرة الإلهيـــة.

٥. القضاء على دعائم الفكر الأســطورى المتوارثـــة والتــى كــانت تعطـــى أوزيـــر مكانة غير عادية ، وقـــد أكـــد ذلــك العديــد مـــن البـــاحثين والمؤرخيـــن فـــى مقدمتهم جيمس هنرى برستيد ، ويؤيده كل مـــن هـــول وأرثـــر .

وذكر برستيد أن "إخناتـــون" أول رجل مثالى فى تـــاريخ العـــالم لأنـــه صـــاحب أول نظرية فى التوحيد الخالص ، وأن إيجابية دعوته تتمثـــل فـــى قدرتـــه علـــى إزالة كومة كبيرة من الخرافات غير الرشيدة وإنـــه نجـــح عمليـــا فـــى إصـــلاح مجتمعه والقضاء على العديد من الأساطير المتوارثـــة مثـــل القـــول بـــأن النيـــل هو "أوزير" ، وأن الفيضان يرجع إلى غضب الآلهـــة وقـــوى الطبيعـــة وبعـــض الحيوانات المســـيطرة.

٦. التأثير القوى فى الحياة الفكرية والدينيـــة لمعظـــم شـــعوب منطقـــة الشـــرق فـــى آسيا وشمال أفريقيا ، ويؤيد هذه الحقيقـــة كـــل مـــن جـــون ويلســـون ، وجـــورج ساراتون وكذلك والس بيدج وبرستيد وغـــيرهم مـــن البـــاحثين ورجـــال التـــاريخ والآثـــار.

أكد هؤلاء على أهمية أفكار "إخناتـــون" ودوره فى تعميق الشـــعور بعبـــادة الإلـــه الواحد ، وأنه لم يكن يتعبد لقرص الشمس بل إلى القدرة التى وراء هذا القـــرص ، ومن ثم كانت دعوته قمة التطور فى الفكر الديني قبل عصر الرســـالات "أنبيـــاء اليهود".

وذكر برستيد أن عقيدة "آتـــون" التى نـــادى بـــها "إخنـــاتون" كـــان لـــها أثرهـــا الإيجابى فيمن جاء بعده من مفكريـــن وموحديـــن. ودليـــل ذلـــك مـــا وجـــد مـــن تشابه كبير بين أدعية "إخناتـــون" وما كتـــب فـــى التـــوراة عـــن الإلـــه والبشـــر وخاصة المزمور رقم [١٠٤]. كما أشـــار إلـــى منطقيـــة الأدلـــة التـــى أوردهـــا

"إخناتــون" على وحدانية الإله وقدرتـــه ، وأن التوحيـد الخـالص القـائم علـى تنزيه الإله كان حقيقة عالمية عرفتـــها الإنســانية(١).

وأشار "جورج ساراتون" إلى مــدى نجــاح "إخنــاتون" فــى هـدم الكثـير مـن المعتقدات الباطلة والأفكار الخاطئـــة عــن الألوهيــة والاعتقــاد بقـوى طبيعيـة وحيوانية وأثر ذلك فـــى توجيــه سـلوك البشــر ، وقــال إن إثبـات الوحدانيـة والقدرة فى أدعية "إخنــاتون" تجعلنــا نصـــرح بــأن "إخنــاتون" قـد أدرك مـن وجود الإله قدر ما نستطيع نحن أن ندرك مـــن وجـوده.

وهذا الرأى أيضا يؤيده "والس بيدج" ويشير إلـــى نجــاح "إخنــاتون" فــى نشـر الوحدانية ويقـــول : "إن الفكـر الدينــى القـائم علـى التوحيـد عـرف قبـل إخناتون وأن الوحدانية التى كان يدركها المصريــون قبـل عصـر إخنــاتون لـم تكن وحدانية تفكير ولكنها وحدانيــة تغليــب"(٢).

ولاشك أن وحدانية الإلــه وتنزيهــه عــن المشـابهة والجسـمية التـى ظــهرت واضحة فى تعاليم "إخناتــون" قد أثــارت العديـد مـن البـاحثين منــهم العقـاد الذى رأى أن توحيد "إخناتــون" يعتمد علـــى التنزيــه المطلـق للإلــه وأن هــذا

---

(١) J.H. Breasted : ACITY of EKHENATON in Nobia, 1902 P. 109 – 110. J.H. Breasted : The Dawn of Conscience. N.Y. 1939 P. 28 – 103.

د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم حـ ١ ص ٣٦٠ – ٣٦٢.

وعباس العقاد : مطلع النور ط ١٩٦٨م : ص ٩٦.

(٢) Gorge Saraton. The history of Science and the New humanism, NEW YORK '1956'.

L.A. White: AKHENATON, The Great man and the culture, Process in Jars L.X. Vill 1948.

J.A. Wilson; The Burden of Egypt. Seconed imp 1954.

مترجم : بعنوان الحضارة المصرية

J.A. Wilson; The culture of A ncient Egypt. Chicago, 1963 P. 211 – 213.

د. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص ٣٤ – ٤٢.

د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم حـ ١ ، ص ١٩٣ – ١٠٤.

التنزيه هو قمة العبادة والمعرفة بحقيقة الإله وأن العبادة التى دعى إليها "إخناتون" منذ ثلاثة وثلاثين قرنا كانت غاية التنزيه فبلغت دعوة التوحيد به أعلى مرتقاه وبلغت بتنزيه الإله غاية لم يدركها حتى اليوم كثير من الأمم فى البلاد الشرقية أو الغربية.

وذكر الدكتور مصطفى محمود فى كتاب الله إن التوحيد على يد "إخناتون" قد وصل إلى ذروة النقاء والتجريد.

ثالثا - فلسفة إخناتون الأخلاقية والاجتماعية :

ظهر اهتمام "إخناتون" بالإنسان والأسرة مبكرا ، أى منذ قبل توليه الحكم وتأمله فى واقع الإنسان وما يعترضه من عوامل وما يواجهه من شرور وأخطار ، وحين أدرك أهمية القيم والعادات فى تشكيل سلوك الفرد كما أدرك أهمية المعتقد فى تكوين شخصية الفرد وتوجيه فكره وسلوكه وقد ظهر ذلك بوضوح من خلال مواقفه العملية تجاه مصادر الشر وسوء العادات المتوارثة.

ومنذ توليه "إخناتون" الحكم وبداية دعوته للتوحيد ظهر مدى اهتمامه بالقيم قدر اهتمامه بالحقيقة وبناء الإنسان ، والتأكيد على الترابط الوثيق بين عالم الألوهية وعالم البشرية رغم تنزيه الإله واختلاف الصفات بينهما.

ففى مجال البشرية كانت الحقيقة هى الالتزام بمبادئ التعاون والعدالة وفق مبدأ الحق والمساواة. ولتطبيق ذلك يجب أن تسمى الأشياء بأسمائها فذلك عنده هو الحق والصدق وألا يلجا الناس إلى النفاق والمداهنة فذلك هو الكذب والخداع .

وهو يرى أن الأصل هو التساوى وأن الحق فى الصد ق والعدل وأن الاختلاف البشرى فى اللغة والفكر وفى اللون وفى الطبائع هو أمر فطرى لأن هذا التميز مرجعه لأمر إلهى وحكمة بالغة هى إثبات قدرة الخالق وعظمته ، ولولا هذا الاختلاف والتميز لما استمرت الحياة.

ويعبر "إخناتون" عن هذه المعانى حين يقول فى تعاليمه : "يختلف الناس فى لغاتهم كما يختلفون أيضا فى طباعهم". ويمتازلون جلودهم عن بعضهم

البعض ، لأنك أنت أيها الإله العظيم ..الذى يميز أهل الأمم الأجنبية. أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر ، وأنت الذى يأتى به عندما يشاء لتبقى على الناس ، وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا – سيدهم الذى يشغل نفسه من أجلهم.

وتظهر فلسفة "إخناتون" الأخلاقية والاجتماعية واضحة فى قدرته على إظهار الصلة بين صفات الإله وأفعال البشر، وإنه ليس هناك تناقض بين وصف الإله بالرحمة والعدل والعطف والحب لأنه المحبوب فى كل أمره والعطوف بجميع خلقه ومن أجل ذلك كان خلق الكون عن هذا الحب وهذه الرغبة. فإذا كان الإله فى صفته وفعله هكذا فقد وجب على البشر أن يكونوا كذلك أى يجب أن يتحلوا بهذه الصفات وأن تظهر هذه الصفات فى جميع أفعالهم.

ويرى "إخناتون" أن صفة العدالة هى أبرز صفات الإله ، لأن عدالته قد استوجبت أن ينتفع القريب والبعيد بفضله ونعمته ودفئ شمسه ، كما استوجبت أيضا أن يتحلى الحاكم بوصفه خليفة الإله بالعدالة لتصبح وظيفته الخلقية التى بمقتضاها ينتظم الحكم وتستقيم الأمور . ويؤكد "إخناتون" أن العدالة تستوجب الوحدة والمساواة أى وحدة الفكر والاعتقاد ووحدة الإله ، وكان هذا المعتقد وراء مواقفه الإصلاحية لتصحيح المعتقدات والعادات القبلية التى أفسدت الحياة الاجتماعية وأضعفت الدولة وأدت إلى الفرقة والاختلاف وفى مقدمتها :

١. تمسك كل مدينة أو أقليم بإله ورمز خاص يميزه على صورة حيوانية أو بشرية وجعلوا لكل إله أسرة وأبناء ، وكان كل أقليم يتعصب للإله الذى يخصه ويتعبد له وحده.

- فكان أوزير (أوزوريس) يعبد فى أبيدوس وكان له زوجة هى "إيسة" وابن هو حور.
- وكان "بتاح" يعبد فى ممفيس . وهو إله منف الكبير وكان على شكل إنسان برأس عارية واضعا يديه فوق صدره وممسكا بصولجان وكان له أسرة مكونة من "سخمت ونفرتم".

- وكان "آمــون" يعبد فى طيبة وكان يرمــز إليــه بشــكل بشــرى وكــان لــه أسرة إلهية مكونــة مــن زوجــة وأم وأبــن ، وكــان اســمه رمــز للــهواء والخفـاء.

- وكان حور (حورس) يعبد فــى إيفــو .

- وكان "هاتــور" يعبد فى دنـــدرة.

- وكان "حتحور" يرسم برأس أدميــه وقرنــى بقــرة رمــزا للحنــو والعطــاء والأمومة.

- وكان "تحوت" يرسم بشــكل الطــائر أبيــس (أبــو منجــل) رمــزا للحكمــة والذكـاء.

- وكان "موت" يرسم برأس أسد رمزا للقــوة والشــجاعة والســيطرة.

- وكان "ســوكــر" يعبد فى منف أيضا ويرمز إليـــه بــرأس الصقــر وشــكل الإنسان رمزا للعلو والقــوة والانقضــاض.

- وكان "بتــاح" رمزا للحكمة والعلــم والمعرفــة والصناعــة.

- وكان "رع " رمزا للنور والضياء ، وهو إلـــه الشــمس الــذى أنتشــر عــبر مختلف العصور وأستمر عبر الدولـــة الوســطى والحديثــة وكــان الملــوك والأمراء ينسبون أسماؤهم إليه ، وكــانت عبادتــه أكــثر العبــادات انتشــارا واستمرارا. وقد تسمى الملوك به وانتســبوا إليــه مثــل (ســويك رع – أخــر رع – تحوت رع – بتـــاح رع).

٢. خلط الكهان ورجال الدين بين عالم الأخـــلاق وعــالم المــوت والخلــود فنقشــت التعاويذ السحرية على الجعارين والدمى الصغيرة لكـــى تخمــد وعــى الضمــير عند الميت المتــهم وتســاعده وقــت الحســاب .. وأن كلمــات الســحر تضمــن براءة الميت بعد الموت وتحفظ جثته وتدافع عــن ثروتــه وممتلكاتــه فــى الدنيــا كما تدافع عنه وقت الحســـاب.

٣. انتشار العـــادات السـيئة الناتجـة عـن الاعتقـادات الخاطئـة فـى الخرافـات والأساطير والشعوذات التى كان ينسبها الكهان للآلهـــة ، ومـا ينتـج عـن ذلـك من تشتت للفكر وغموض للمقاصد وبعـــد عـن العقـل وغـوص فـى غيـاهب الجهل والتخلـف.

وكان موقف "إخناتـون" هــو الاعتمـاد علـى العقـل والمنطـق فـى إظـهار الحقائق وإثبات أهمية وضوح المعتقد والوحـــدة الدينيـة والفكريـة فـى كشـف أخطـاء الكهنة ومدى الخطر الذى يهدد الوحـدة السياسـية والاجتماعيـة نتيجـة تـوزع الأقـاليم وتعدد المعتقدات والآلهة وتشتت الفكـــر.

وفـى هـذا الإطـار أنشـأ "إخنـاتون" المحـاكم الدنيوية لحسـاب المخطـئ والمسيء ومن يتجاوز حدود العرف ويخـــرج عـن الحـق والعـدل والنظـام ، وأنشـأ مجـالس مـن الكتـاب والحكمـاء لإدارة الاجتماعـات والنـدوات لمناقشـة المشــاكل ومواجهتها عمليا بدلا من الركون إلى الخرافـــة أو السـحر .

وجعل القوم يعتمدون على العمل والفكـر ويتعبـدون بالأدعيـة والأذكـار التـى تمجد الإله الواحد ، والتى تحث على فعل الخير فـى الدنيـا وطلـب المغفـرة والـرزق من الإله وحده ، لأن "أتـون" هو الإله القادر وحــده علـى تحقيـق الرجـاء والسـعادة والحياة الخالدة ، كما أنه القادر وحـده علـى توفـير أسـباب الـرزق والطعـام لجميـع البشر ، إنه الإله وليس السحر والجعـــارين والخرافـات.

إن ما كان يردده "إخناتـون" فـى دعواتـه ويعلمـه لأتباعـه وينشـره ليكـون منهجا ومعتقدا لجميع البشر يعكس مـدى نضـج فلسـفته وشـمول فكـره ومنهجـه وأن الآراء التى ترددت فى تعاليمه تمثل بحق قمـــة الفكـر الدينـى والسياسـى فـى عصـر الدولة المصرية الحديثة فى زمن الأسرة الثامنة عشـر قبـل الميـلاد كمـا تؤكـد علـى الأثر الاجتماعى وما نتج عن نجاح دعوته مـن تغـير إيجـابى فـى المعتقـد والسـلوك وتحرر الفكر وتحقق للوحـدة الفكريـة والسياسـية فكـان انتشـار التوحيـد مـن جهـة مقدمة ضرورية للالتزام بمبادئ الخير والعـدل والصـدق ، كمـا كـان سـبيلا للقضـاء

علـى العديـد مـن المسـاوئ الأخلاقيـة والمفاسـد الاجتماعيـة والعـادات السـيئة المتوارثـة.

رابعا - أدلـة التوحيد عند إخناتـون :

١. دليل الوحدة.

أى أن الإله يجب أن يكون واحدا وتتجلـى وحـدة الإلـه فـى فرديتـه أى فـى كونه الإله الفرد المتميز بفرديته أى ليـس معـه سـواه فـى الملـك والألوهيـة وليس معه شبيه ولا نظير فـلا يشـاركه فـى قدرتـه ولا إرادتـه ولا عظمتـه أحد "سواه" وقد عبرت كلمات "إخناتـون" فى أدعيته عن ذلـك حيـن قـال :

" اللهم أنك أنت الإله الواحد الأحد الـذى ليـس معـه سـواه وليـس لـه مـن نظير ، برأت الدنيا وكنت فردا (أى خلقتـها) وخلقـت الأنعـام والبشـر وكـل ما يسعى على الأرض بقدم أو يحلق فى الفضـاء بجنـاح[١].

"اللهم إنك أنت الرب العظيم ، الواحد المحبـوب وأنـت الرحيـم أنـت كـالأب والأم لكل مخلوق ، لك أنت يسـبح البشـر والحيـوان والطـير والنبـات كـل منـهم بطريقتـه ، والزهـر ونبـت الأرض ينفتـح لمـرآك وتتملكـه النشـوة لمحياك والأنعـام تـتراقص علـى أقدامـها والطيـور فـى أوكارهـا تطـوى أجنحتها وتنشرها تسبيحا لآتـون الحـى خالقـها. والأرض بأسـرها عـامرة بحبك والعشب والشجر يتمايل لمطلع وجـهك والأسـماك فـى المـاء تـتراقص لرؤيتـك .

ودليل الوحدة الذى عرضه إخناتون فـى عقيدتـه يشـير إلـى الأثـر الإيجـابى لهذا المعتقد ، فوحدة الإله وتوحده تجمـع القلـوب والمشـاعر وتجمـع الأفكـار والمشارب ، وهو فى هذا يذكر الشعب بأثر الوحدة والاعتقـاد بـها فـى توحـد

---

[١] يمكن الاستدلال على ذلك بما جاء فى أدعية إخناتون وتعاليمه من أدلة على وحدانية الإلـه وقدرتـه ، ومدى الارتباط بين الصفات الإلهية والسلوك البشرى (راجع فى ذلك) أدلة التوحيد عند إخناتون

الشعب لتحقيق النصر على الهكسوس عندمـــا أرجعــوا النصـــر إلـــى آمــــون كإله عظيم وواحد هو رب الوجود وخالق البشــــر والأكـــوان .

وكان دور إخناتون هو التذكير بهذا الدليل وأهميته وأنــــه لـم يــأت بمــا يغــاير المعتقد السليم والعرف. فكان "آمـــون" إلـــه طيبــة هـــو حــور الأفــق وكـــانت الأدعية والصلوات توحد بين أســـماء الآلهـــة ، وكـــانت تصـــف الإلـــه بـــالتفرد والعظمة وتقدم "آمـــون" على جميع الآلهة والأرباب فـــى كــل البـــلاد.

ودليل الوحدة عند "إخناتـــون" يؤكده الشعور الفطـــــرى بضـــرورة تمـيز الإلـــه فى وجوده عن باقى الموجودات ومن ثم تكـــون الوحـــدة هـــى الفطـــرة الســليمة التى تتميز فى ميل الفرد الطبيعـــى نحـــو التوحـــد والتمـــيز ، فالإلـــه يجـــب أن يكون متميزا ومنفردا بصفات وأفعال لا يفعلـــها إلا هـــو.

ولا شك أن هذا الشعور الفطرى بوحدانية الإله كان مترسبا فى وجــــدان الشـــعب المصرى منذ بداية العصر الحجرى الحديث ومنذ نشأة الأسرات وظهور الديانـــات والرسالات وبعث الرسل والأنبياء الذين تواجد عدد كبير منهم على أرض مصـــر ابتداء من إدريس علية السلام وحتى موسى وعيسى ومحمد ﷺ[١].

٢. دليل القدرة والكمــال:

ويتمثل فى محاولة "إخناتـــون" إثبـــات وحدانيـــة الإلـــه مـــن خـــلال إثبـــات أن الإله الذى يملك القدرة والجـــبروت والإماتـــة والأحيـــاء هـــو إلـــه واحـــد ، وإن قدرة هذا الإله تتمثل فى كماله وعظمته وفى بقائه وخلـــوده وعمـــوم قدرتـــه.

ولأنه الواحد القـــادر فقـــد تعـــددت مظـــاهر قدرتـــه لتشـــمل جميـــع الخلائـــق والكائنات واعترافها بذلك وأن تسبيحها له وشـــكرها دليـــل ذلـــك.

---

[١] راجع فى ذلك أنشودة الإله آمون (إله الشمس الأوحد) التى كتبها الأخوان سوتى وحور وســـجلت فـــى صور ومناظر ونقوش ، وكان ينشدها الشعب فى صلواتهم واحتفاليتهم.

وبما أن القادر هو الذى يملك تصريف الأمور وحده لأنه لو كان ضعيفا لأحتاج إلى آخر ولذلك ، فلابد أن يكون القادر واحدا.

وبما أن القادر هو الذى يقدر على الخلق والإيجاد والابتداء والانتهاء والإماتة والإحياء ، فهذه القدرة لا تكون إلا لواحد لأن الذى بسط الأرض ورفع السماء هو المالك للأمور كلها والذى يضع كل شئ فى مكانه فلا ينازعه فى الملك أحد ولا فى هذه القدرة منافس.

وقد عبرت كلمات "إخناتون" بوضوح عن هذه المعانى حين قال : " أيها الإله الأوحد الذى لا شريك له. لقد خلقت الدنيا كما شئت ، وعندما كنت وحدك .. ما أعظم أعمالك التى عملتها إنها خافية على الناس .... الناس والماشية والوحوش الضارية وكل ما يسعى على الأرض بقدميه أو يرتفع فى السماء ويطير بجناحيه .... إنك أنت الذى يمدهم بما يحتاجونه ... إنك أنت الذى تضع كل شئ فى مكانه. إنك أنت الذى يجعل الناس جميعا يؤدون أعمالهم ... عندما يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم ويرفعون أذرعتهم ابتهالا عند ظهورك ... عندما تقتنع كل الحيوانات بمراعيها وتزدهر الأشجار والنباتات والطيور التى تطير من أعشاشها وتمد أجنحتها لتمدح قوتك.

عندما تقف الحيوانات على أقدامها وتسير السفن نحو الشمال والجنوب وتكون الطرق كلها مفتوحة بقوتك.

(٣) دليل الخلق والعناية :

ويتمثل فى إثبات قدرة الإله الواحد على الخلق والعناية والتدبير وأن الخالق لابد أن يكون هو الواحد لأن الخلق دليل على عظمة القدرة ورعاية الخلق منذ ابتدائه وحتى انتهائه دليل عنايته وحفظه لخلقه وللحياة التى وهبها لمخلوقاته. ويشير "إخناتون" إلى مظاهر قدرة الخالق وعنايته حين يقول: "أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له ... أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء .... إنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة إنسانا

..... إنك أنت الذى يعتنى بالطفل فـــى بطـــن أمـــه وأنـــت الـــذى يهدئـــه بمـــا يوقف بكائه ، أنت الذى تعتنى بـــه وهـــو فـــى الرحـــم ، وأنـــت الـــذى تعطـــى النفس ليحفظ حياة كل مخلـــوق ...

عندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس فى اليـــوم الـــذى يولـــد فيـــه تفتـــح فمـــه وتمده بكل ما يحتاج إليـــه ....

وعندما يصرخ الكتكوت فى داخـــل البيضـــة فـــأنت الـــذى تمـــده بـــالنفس فـــى داخلها ليعيش ، وعندما يتم خلقه داخل البيضـــة تجعلـــه يكســـرها ويخـــرج مـــن البيضة وهو يصوصو إذا ما كان موعده ويمشى علـــى رجليـــه عندمـــا يخـــرج منـــها .....

وإذا كانت هذه كلها مظاهر للرعايـــة والعنايـــة ودليـــل علـــى أن الخـــالق هـــو الإله الواحد ، فـــان الخلـــق دليـــل علـــى الصنعـــة ودليـــل علـــى الصـــانع وأن المخلوقات صور صدرت عن الإلـــه الواحـــد بمشـــيئته..... وهـــو يعـــبر عـــن ذلك فى تعاليمه حين **يقول** : "أيها الإلـــه الأوحـــد الـــذى لا شـــبيه لـــه .. لقـــد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها وحتى ترى كـــل مـــا صنعـــت وذلـــك عندمـــا كنت وحيدا تشرق فى صورتك "كآتـــون" الحـــى لامعـــا مضيئـــا فـــى مجيئـــك ورواحك ... أنت جعلت ملايين الصور من نفسك وحدهـــا ســـواء كـــانت مدنـــا أو بلادا أو حقولا أو طريقا أو نهرا فإن كل عيـــن تـــراك فوقـــها مشـــرقا لأنـــك "آتون" شمس النهار علـــى الأرض.

"أيها الإله الأوحد الـــذى لا شـــبيه لـــه ...أنـــت الـــذى صنعـــت الدنيـــا بيديـــك وخلقت الناس كما شئت إن تصورهـــم فـــهم يحيـــون عندمـــا تشـــرق ويموتـــون عندما تغـــرب.

إنك أنت الحياة بعينها ويعيش الإنسان فقـــط إذا أردت تتعلـــق العيـــون بالجمـــال حتى تغيب ويترك الناس أعمالهم عندمـــا تغـــرب فـــى الغـــرب ولكـــن عندمـــا تشرق ثانية يزدهر كل شئ لأجل وجـــودك لأنـــك أنـــت الـــذى خلقـــت الأرض وأنت الذى خلقت جميع البشـــر.

وهكذا سعى "إخناتــون" لإثبات قدرة الخالق علـــى التدبـير والرعايــة والخلــق والعناية بجميع المخلوقات وأن كل شئ فى الوجــود يحتـاج إليــه لكــى يوجـد ويستمر ويحيا ، وهو يكرر هذه المعـــانى فــى أدعيتــه **فيقــول** : "أيــها الإلــه الأوحد الذى لا شريك له .. مــا أجمــل تدبــيرك رب الخلــود ... "**آتــون**" يــا ضوء النهار .. يا عظيم المجد يا أصــل الحيــاة .. بلدانــا نائيــة تهبــها الحيــاة إنك ترسل الغيث والأرزاق من أجلها على كل البـــلاد يــأتى خــيرك .. مصــر العظيمة والشام (**خــارو**) والسودان (**كاش**) ... أيــها الإلــه الأوحــد الــذى لا شبيه له ..خلقت الجميع على اختـــلاف ألســنتهم وألوانــهم ومواطنــهم وتكفلـت بأرزاقهم ما أعظم أعمالك التى عملتها .. إنـــها خافيــة علــى النــاس ... أنــت فى قلبى وليس هنــاك مــن يعرفــك غــير ابنــك "**تفرخــير ورع**" (**واع ابــرع**) لأنك أنت الذى خلقته عالما بمقصدك ومدركـــا لقوتــك[1].

(٤) الدليل الكونــى

وهو عند "**إخناتــون**" يعنى أن الإله الواحــد خــالق الجميــع والرحيـم بــالكون كله ، والذى لا يفرق بين فرد وآخر وبلــد وآخـر لابـد أن يكــون هــو الإلــه الواحـد.

والإله الواحد هو الذى يجــب أن يتوجــه الكــون كلــه لــه بالتســبيح والعبــادة فالكون كله لا يخضع إلا للواحد القادر على الإبـــداع والخلــق والإحيــاء.

---

(١) يمكن مراجعة هذه الأدعية فى كل من :
١. د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جــ١ ص٣٦٣ - ٣٦٤.
٢. د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص٣٣٤-٣٢٩.
٣. د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية ص٢٣.
٤. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص٣٣.
٥. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جــ١ ص١٠٢ - ١٠٤.

ومن ثم كانت دعوة "إخناتون" موجهة للإنسانية كلها ولم تقتصر على المصريين وحدهم ، وبالفعل شملت دعوة "إخناتون" كل البلاد وكان دعاؤه دليلا على ذلك حين يقول : أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له ... أنت خالق الجميع ، البشر والأنعام وكل ما يسعى على الأرض بقدم أو يطير فى الفضاء بجناح أنت خالق جميع البلدان والشعوب مثل سوريا والسودان ومصر ، تجليك فى أفق السماء بديع .. يا "آتون" الحى يا أصل الحياة .

أنت البهى وأنت الجليل وأنت المنير وأنت العلى فوق كل الأرض كلما غاب نور كوكبك أظلم الكون وأصبح كالموات وهجع الخلق وخيف النهب وأستشرى الوحش ودبت الزواحف.

وكلما أشرقت بنورك تبدل الحال غير الحال بأشعتك تتبدد الظلمة ويكفل الأمن ويتيسر السعى.

لك وحدك يسبح كل مخلوق البشر والحيوان والطير والنبات كل منهم بطريقته وتسبيحه..

والدليل الكونى يظهر واضحا عند تأكيد "إخناتون" على صفة الحياة للإله الواحد فالإله الواحد هو الحى الذى يهب الحياة لجميع المخلوقات وأن الإله يتجلى فى الكون كله لأنه هو الحياة نفسها وأنه مصدر الحياة فى الكون كله فى الطفل الجنين لأنه هو خالق الجنين وخالق النطفة التى ينمو منها الجنين وهو باعث الأنفاس الحية فى كل مخلوق ، وهو واهب الوجود والحياة ، وهو يعبر عن هذا حين يقول : "أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له". أنت الذى يعطى الحياة .. لأنك خالق الجرثومة فى المرأة وجعلت من هذه البذور أناسا وجعلت الولد يعيش فى بطن أمة مهدئا إياه حتى لا يبكى ومرضعا إياه حتى فى الرحم.

وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته حينما ينزل من الرحم فى يوم ولادته وأنت تفتح فمه وتمنحه ضروريات الحياة.. أنت

الذى يعطى الحياة لكل البلاد الأجنبية البعيدة لأنك خلقت نيلا فى السماء لينزل لأجلهم .. ويحدث أمواجا فوق الجبال مثل أمواج البحر لتروى حقولهم التى فى قراهم .. "ما أجمل أعمالك يا رب الأبدية... عندما تغذى أشعتك كل مرج .. وعندما تشرق تحيا وتنمو لأجلك وجعلت فصول السنة لتغذى بها كل ما خلقت فالشتاء يبرد أجسامهم والحرارة تجعلهم يحسون بك . لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها وحتى ترعى كل ما صنعت .. وذلك عندما كنت بعيدا تشرق فى صورتك "كآتون" الحى لامعا مضيئا فى جيئتك ورواحك .. جعلت ملايين الصور من نفسك وحدها سواء كانت مدنا أو بلدانا أم حقولا أو أنهارا فإن كل عين تراك فوقها مشرقا لأنك "آتون" شمس النهار على الأرض.

أنت الذى صنعت الدنيا بيديك وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم فهم يحيون عندما تشرق ويموتون عندما تغرب لأنك أنت الحياة بعينها. أنت الذى تجعل كل شخص يحصل على طعامه وسنوات حياته مقدرة له أنت الذى تجعل الناس يختلفون فى لغاتهم كما يختلفون أيضا فى طباعهم لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا ... سيدهم الذى يشغل نفسه من أجلهم سيد كل الأرض الذى يشرق لأجلهم فأنت "آتون" شمس النهار عظيم البهاء[1].

خامسا : أدلة نبوة إخناتون :

كانت نبوة "إخناتون" من مسائل الجدل بين رجال التاريخ والدين فمنهم من يؤكد نبوته وأنه كان أول نبى جاء به التاريخ والآخرون ينكرون ذلك

(1) El, Griffith; The Jubile of AKHENATON, 1918, P. 61-63.

Sayed Tawfik : Aton Studies, P. 167.

ويعدونه واحد مــن المصلحيــن أو الحكــام الصــالحين أهتــم بتصحيــح أمــور الديــن والمجتمع فقــط

ويرى أصحاب الرأى الأول أن "**إخنــاتون**" قــد أدى دوره كنبــى مرســل حيــن حصر دعوته في التوحيد الخالص نظريا وعمليا : نظريــا فــى فــهم وتســجيل التعــاليم وعمليا في الالتزام بها ونشرها حتى إنه جعــل التوحيــد الخــالص شــعار دولتــه ودعــا جموع الشعب إلى التعبد بتعاليمه. واستدلوا علــى أنــه مــن كبــار الموحديــن بدعوتــه وسلوكه وشخصيته.... وأنه دعا بدعوة الأنبياء وهــى وحدانيــة الإلــه لأن دعــوة جميــع الرسل والأنبياء واحدة وهى **[اعبــدوا الله الواحــد الأحــد .. اعبــدوا الله ولا تشــركوا به شــيئا]**.

- كما استدلوا على نبوته بصفاته الشــخصية والالــتزام بحســن الخلــق والطاعــة وصدقه فى دعوته والتزامه بالتعاليم ، وأن ســلوكه لــم ينــاقض جوهــر دعوتــه وما قدمه من التعاليم وأذكار تمجد وحدانية الإلــه وتنزهــه عــن الشــبيه والمثــل والتعــدد.

- كما استشهدوا على نبوتــه بمواقفــه الشــجاعة وحســن تبليغــه للرســالة وعــدم مهادنته للمعارضين للتوحيد وكان يمثلــهم فــى عصــره بعــض كبــار الكهنــة الداعين للوثنيــة والتعــدد والذيــن كــانوا يصفــون الآلهــة بصفــات البشــرية وينسبون لهم الأزواج والأبناء ويفترضوا لهم حياة دنيويــة بشــرية إلــى جــانب حياة الخلود والأبديــة ،

كما استدلوا بمظاهر دعوته وهجرته من طيبة بلدته إلــى مدينــة آخــرى أقامــها "**إخناتــون**" خصيصا لنشــر الدعــوة ســماها (**إختــاتون**) أى أفــق "**آتــــون**" الإله ، ووصفها بأرض الطهارة التــى لــم يدنســها شــرك ... وأن هــذا شــبيه بموقف جميع الأنبياء حيــث كــانت الــهجرة وســيلتهم للحفــاظ علــى الدعــوة ونشــوها.

- كما استدلوا على نبوته بجوهـر دعوته وصدق آرائه واتسامها بالعمومية والشمول وإنها دعوة إنسانية عامة صالحة لكل زمان ومكان ، وإن إخناتون لم يوجه دعوته لشعب بعينه أو بلد دون آخر.

- كما استدلوا على نبوته بصريح أقواله حين صرح "إخناتون" بأنه الرسول المصطفى من قبل الإله الواحد ليكون خليفته والمبلغ لدعوته وإنه اختار بعض الحكماء والأعوان ليعلمهم ما علمه الإله إياه من أذكار وصلوات وحكم فى وصف الإله الواحد وحقيقته.

- ورغم العديد من الأدلة والشواهد على نبوة "إخناتون" لم تتوفر القناعة أو الشجاعة لدى بعض الباحثين للاعتراف بنبوته رغم اعترافاتهم بمكانته ودوره. ومن هؤلاء هيرودوت وجاردنر وجورج ساراتون وسيرج سوتيرون ، وفرنسوا دوماس وغيرهم فى حين اعترف آخرون فى شجاعة بأن دعوة "إخناتون" التوحيدية ما كانت إلا وحيا على نبى أو رسول استجابة لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[١]

وهذا ما ذهب إليه الدكتور صلاح الفوال الذى عقد العديد من المقارنات بين أذكار "إخناتون" وما جاء فى القرآن الكريم من صفات إلهيه وحقائق كونية تتوافق إلى حد كبير مع ما كان يردده "إخناتون" فى تعاليمه[٢].

---

[١] فاطر : (٢٤).

[٢] التصوير القرآنى للمجتمع : د. صلاح مصطفى الفوال - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٨٥ م. وبه مقارنة بين دعوة إخناتون وما جاء بالقرآن الكريم.

- راجع كذلك مؤلف د. صلاح الفوال : علم الاجتماع فى عالم متغير دار الفكر العربى ط ١٩٦٦ : ص٤٨ .
- راجع كذلك : قصص الأنبياء : عبد الوهاب النجار - مكتبة دار التراث - ط ١٩٨٥م.
- راجع أيضا : إثبات الرسالة وصفات الرسل : د. عبد الحميد درويش حول صفات الرسل الواجبة : ص ٩٧-١٠٨.

وتلك أدلة إثبات نبوة "إخناتون":

١. الدليل الشخصي :

ويتمثل في مجموع صفات "إخناتون" الشخصية المميزة له كالصبر والصدق والتواضع والفطنة والإخلاص في الدعوة وهي صفات تؤهله للنبوة وتحمل المسئولية بوصفها صفات واجبة للأنبياء والرسل..

وكانت فطنة "إخناتون" في مقدمة هذه الصفات حيث ظهرت فطنته ابتداء منذ اختياره لأسمائه والتدرج في دعوته وإدراكه مدى تعمق الإيمان بالإله العظيم الواحد في وجدان الشعب المصري ، فاختار اسما معبرا عن هذا الاعتقاد ويرتبط بعقيدة الشمس المترسبة في وجدانهم بوصفها رمزا للقوة والحياة والخلود ، فأطلق على نفسه لقب " نفروخبرورع" واع إن رع : أي وحيد رع صاحب الأشكال الجميلة ، كما قبل لقب الكاهن الأكبر "لرع حار آختي" المبتهج في الأفق (أي النور - شو الموجود في آتون) وفي بداية الدعوة أيضا ظهرت فطنته عندما نجح في وقف نشاط الكهان ودفعهم لمراجعة مواقفهم دون مواجهة أو عنف ، فجامل في البداية بعض الكهنة من أنصار آمون وأعلن أن دعوته توحد بين آمون وآتون (لأن آتون هو الإله الواحد الذي يجمع بين آمون ورع) ولتأكيد ذلك قام بتشييد المعابد لأتون في رحاب الكرنك معقل عبادة آمون . وظهرت فطنته في منهجه وحسن اختياره لاسم الإله والرمز المعبر عنه ، ولم يفاجئ الناس بالتغيير دفعة واحدة بل كان التدرج والمواعظ الحسنة والإقناع أسس منهجه حتى إنه لم يعلن دعوته مرة واحدة ولا بمجرد توليه عرش مصر وصرح في بداية الدعوة إنه لم يطلب من الشعب سوى العودة إلى معبود الفطرة القديم الذي كان الأباء والأجداد من الموحدين يتوجهون له بالعبادة إنه "رع حر آختي" ، إنه آتون الذي يرمز إليه بآية النور المعجزة المستحبة في كوكبه.

ويلاحظ أن صفة الصبر كانت من أبرز صفاته في مواقف عديدة منها :

- كثرة تعبده لإظهار طاعته وشكره للإله ، فكان الصبر هو الرابطة بين الطاعة والشكر وما يشعر به الفرد من سعادة نتيجة لصبيره وقد عبر "إخناتون" عن ذلك حين قال : "إن من أحبه الإله وجبت عليه طاعته ، وإن الإله لا يعرف أهل السوء ، وإذا جاءتكم السعادة حق عليكم شكر الإله.

- حسن تعامله وصبره مع الكهان من أعدائه ، فكان كريما معهم رغم عدائهم له ، وكان يجزل لهم العطايا اتقاء لشرهم ، وقد وصفهم في إحدى لوحاته بقوله : "أقسم بحياة أبى آتون أن الكهنة كانوا أشد إثما من كل الأشياء التى سمعتها حتى العام الرابع وأشد ضراوة من الأشياء التى وقعت حتى العام السادس. في إشارة لموقف الكهان المعارض لدعوته ومؤامراتهم العديدة ضده فكان الصبر والتحمل والكرم والعطاء للأعداء قبل الأصدقاء هو السبيل إلى قلوب أتباعه وحتى من رفضوا دعوته.

- قبوله الألقاب الملكية المعتادة رغم ما فيها من وثنية وتعدد ومن أشهرها :

الفحل القوى ، الصقر الذهبى ، صاحب التيجان الملكية ، ملك مصر العليا والسفلى ، المحبوب من الآلهة ، ابن رع أمنحوتب ، المحبوب من آمون رع ، الحاكم المقدس في طيبة .

وظل "إخناتون" على صبره في تحمل هذه الألقاب حتى العام السادس من حكمه حوالى ١٣٦١ ق.م حين جهر بدعوته وأعلن تعاليمه ، وضرورة توحيد الإله وعبادته ، وفى نفس الوقت أعلن التخلى عن هذه الألقاب وكل ما يوحى بالتعدد والوثنية وفى مقدمة هذه الألقاب اسمه الملكى نفسه (أمنحوتب الرابع) وتلقب فقط بالاسم الدينى الجديد "إخناتون"... (المخلص لأتون) وعلى أثر ذلك بدأ "إخناتون"

فى محو مظاهر التعدد فى أسماء الآلهة وحرم التعبد لغير الإله الواحد. وأصدر أوامره بإغلاق معابد الآلهة الأخرى فى مختلف المدن وسائر أنحاء الإمبراطورية المصرية ، كما أمر بإزالة كافة آثار التعدد والكهنوت من معابد وأسماء ومحو كلمة آلهة حيثما وجدت منقوشة بصيغة الجمع لان الإله واحد واسم واحد لا يجمع[1].

- وكانت صفاته من صدق وإخلاص وتواضع وعدل إلى جانب صبره وفطنته دافعا ودليلا على علو شأنه والتصديق بنبوته.

فكان "إخناتون" حريصا على تطبيق مبادئ العدل والحق – وقد سجلت إحدى لوحاته تلك الصفات جاء فيها : يعيش حور الذهبى الذى يحمل اسم آتون ملك مصر العليا والسفلى إين رع الذى يعيش على الصدق[2].

- كما كانت صفة التواضع من أبرز صفاته التى تؤكد نبوته وبشريته ..

فكان "إخناتون" شديد التواضع وحرص على إظهار ذلك لكى ينفى عن نفسه أى شبهة تقديس أو تعظيم وليؤكد بشرية الملك الذى يجرى عليه كل أحوال البشر من حزن وقلق وفرح وغضب وسعادة ومن أجل ذلك أمر "إخناتون" الفنانين والرسامين أن يصوروه فى مختلف أحواله وأثناء ممارسته لأمور حياته اليومية ومع أسرته أثناء فرحهم وحزنهم أو جدهم وعبثهم كل هذا حتى لا يؤلهه الرعية وليصدقوا نبوته ويؤمنوا بدعوته وقد صورت العديد من اللوحات مدى تواضع وخشوع "إخناتون" فى لحظات تعبده وأثناء صلاته ووضوئه وركوعه.

---

[1] د. عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم ج١ ص ١٩٧-٢٩٨ ، ص ١٢٧،٣٩.

[2] فتحى العقيل إخناتون الفرعونى ص ١١ ،٢٤،٢٢،١٣.

وهكذا كانت أخلاقه وحسن صفاته متوافقة مع جوهر دعوته الداعية لحسن الخلق والتواضع والصبر والصدق والتوحيد[1].

٢. الدليل التاريخي :

ويتمثل في الإجماع على أن دعوة "إخناتون" هي أول محاولة عملية للاتجاه نحو التوحيد الخالص من كل تعدد أو شرك وأنها كانت السبيل للتخلص من عبادة التعدد والوثنية وبعض الخرافات التي كان يدعمها بعض الكهنة ورجال الدين .. وأن ذلك متوافق مع ما جاءت به الرسالات السماوية وبالتالي يمكن القول بنبوءة "إخناتون" وأثبت المؤرخ الأميركي برستيد الأثر الكبير لأذكار إخناتون على معتقدات اليهود ، وأثبت التشابه الكبير بين المزمور ١٠٤ وبين أدعية "إخناتون" .. كدليل على أن ما جاء به وحي من السماء وليس من عنده واستدل المؤرخون على نبوءته بعمومية رسالته واستمرارها.

فقد انتشرت أدعية "إخناتون" داخل مصر وخارجها وأن بلادا كثيرة في أسيا وإفريقيا قد عرفت توحيد إخناتون وآمنت به وأن العبرانيين كانوا أكثر وأقرب الشعوب تأثرا بدعوته وهذا ما ظهر بوضوح في التوراة . كما استدلوا بتصريحات "إخناتون" بأن آتون ليس إلها أجنبيا عن مصر وأن متون الأهرام ولوحات المعابد قبل "إخناتون" بألف عام أو يزيد قد أكدت أن آمون ورع وحور آختي هي أسماء للإله الواحد الأعظم الذي يجب أن يتوجه إليه الجميع للعبادة وأن إخناتون قد صرح علانية بأن لفظ آتون الذي يعني الإله الواحد الحي هو اسم قديم معروف في عصر الدولة القديمة الوسيطة وكان يطلق على الشمس بوصفها رمز للإله المتحكم في الكون والحياة والبقاء ، لأن الشمس في حركتها واستمرارها رمز للحياة والوجود والدفء ، ودليل قوة الإله ووحدانيته ، كما إنها رمز للجلال

---

[1] ١ راجع ألقاب إخناتون في لوحة الحدود . - د. احمد فخري : مصر الفرعونية ص ٣٢٢-٣٤٦.

والعظمة والنور ، وعلى ذلك كانت الشمس آية كبرى دالة على الوجود الإلهى الباقى فكان هذا دليلا على معرفة المصريين قبل "إخناتون" بالأديان والتوحيد وأنهم كانوا يتعبدون للإله الذى خلق هذه الشمس ولم يعبدوا هذه الشمس ، وأن دعوة إخناتون لا تتعارض مع دعوة الأنبياء السابقين عليه .

٢. الدليل العقلى :

ويتمثل فى اعتماد "إخناتون" على المنطق والحكمة والمشاهدة الحسية فى إقناع الرعية بدعوته ، فعمد إلى الوصف الدقيق لحقائق الخلق البشرى ومراحل تكوين الجنين وإثبات وحده .. الكون تمهيدا لإثبات قدرة الإله ووحدانيته فهو ينسب الوجود ومراحل الخلق للخالق القادر فيقول : أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء إنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة إنسانا إنك أنت الذى يعتنى بالطفل فى بطن أمه وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاؤه فانك أنت الذى تعنى به وهو فى الرحم وأنت الذى تعنى به وهو فى الرحم وأنت الذى يعطى النفس ليحفظ الحياة لكل مخلوق ، وعندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس فى اليوم الذى يولد فيه ، فأنت الذى تفتح فمه وتمده بكل ما يحتاج إليه وعندما يصرخ الكتكوت فى داخل البيضة فأنت الذى يمده بالنفس فى داخلها ليعيش وعندما تتم خلقه داخل البيضة تجعله يكسرها فيخرج من البيضة وهو يصوصو إذا ما كان موعد وجوده وحياته .. ويقول أيضا فى وصف الخالق وقدرته أيها الإله الخالق أنت صنعت الدنيا بيديك وخلقت الناس كما شئت أن تصورها .. أنت الحياة بعينها ويعيش الإنسان بإرادتك لأنك أنت الذى يعطى الحياة .. ولم يعتمد "إخناتون" فقط على الوصف والتحليل بل لجأ إلى الإقناع بالدليل لإثبات أهمية وفائدة الإيمان والتوحيد والإخلاص فى العبادة والتزام حسن الخلق ومن اجل ذلك لجأ "إخناتون" إلى تفسير التعاليم والأذكار التى يجب أن يتعبد القوم بها فكان يحرص على تفسيرها لأتباعه الذين أمنوا بدعوته.

كما حرص على بيان أهميــة الــتزام الحــق والعــدل لان الحــق والعــدل فـــى حقيقته أســاس التوحيـد والعبــادة فــالعدل "مــاعت" هـو أصــل الحقيقـة وأن وجوب تسمية الأشــياء بمســمياتها مــن العــدل والصــدق وأن العــدل يوجــب على البشر أن ينزهوا الإله عن الجســمية والبشــرية لأن الجمــادات والأجســام تضعف وتتحول ولا تدل على القـــدرة.

وبالتالى فإنه الحى الذى يعطـــى الحيــاة ، والقــادر الــذى لا يضعــف والــذى يظهر أمامنا فى رمزه وآيته فى قرص الشمس الـــذى يعطــى الـدفء والحيــاة لجميع الكائنات وكل البشر فلم لا يتوجه الجميــع لعبادتــه وحــده.

ويظهر التزام "إخناتــون" بالمنطق العقلى حين رفض الفكر الخرافـــى والاعتقــاد بقــوة الســحر فــى الإماتــة والإحيــاء وتحقيــق الخلـــود والنجــاة فـــى الآخـــرة.

كما رفض التسليم بقوة الطبيعة الخارقة وتدخـــل الحيــوان وعــالم الخيــال فــى إرادات البشر .. فأكد إخناتون أن الاعتقاد فى قـــوى الطبيعــة والســحر خرافـــة وان الإلــه وحــده هــو الــذى يملــك القــدرة والإرادة والتــأثير علــى جميــع المخلوقات .. وأكد أيضا أن الاعتقاد فى التعـــدد يــؤدى إلــى اختــلاف البشــر لأن الاعتقاد سيكون للأقوى من الآلهة وبالتـــالى لابــد أن تختلــف الآلهــة كمــا تختلف البشر .. ولذا يجب على البشـــر أن يتعبــدوا لقــوة واحــدة مؤثــرة فــى الكون والإنسانية وإنها القـــوة التــى تســاعد علــى قضــاء الحاجــات وتوفــير أسباب الرزق والحياة وتحقق الأمن النفسى والاجتمـــاعى لجميــع الكائنـــات.

وقد أشار جيمس هندرى برســـتيد فـــى كتابـــه فجــر الضمــير إلـــى عقلانيــة "إخناتـــون" حين وصفه بأنه أول مفكر مثالى وأول داعيـــة مـــن غـــير الأنبيـــاء المعروفين وأنه أول شخصية مستقلة ظهرت فـــى التـــاريخ وأنـــه أحـــرز هـــذه المكانة السامية بنفاذ بصيرته وحسن تدبـــيره وتفكـــيره العقلـــى.

ودليل ذلك حسب قول برستيد إنه لم يلجأ فـــى تـــأكيد فكـــره أو توطيـــد حكمـــه ومذهبه إلى وسيلة من وسائل الأساطير ولا إلـــى شـــىء مـــن العـــادات القديمـــة

بل اعتمد فقط على البراهين العقلية والمنطقية الظاهرة والدالة في نفسها على سلطان الإله وعظمته ووحدانيته[1].

٤. دليل الوحي والاصطفاء:

ويتمثل في إعلان "**إخناتون**" بأنه النبي المصطفي الموحي إليه والمكلف بالرسالة والدعوى إلى عبادة الإله الواحد الذى لا شريك له ولا شبيه له .. وقد صرح "**إخناتون**" كثيرا بأنه وحده هو ابن آتون أى خليفة الإله الواحد ، وإنه ابن الشمس المكلف بعبادته والداعي إليه ، وأن الناس تتعرف على آتون (الإله الواحد) من خلال ابنه ورسوله "**إخناتون**".

ويمكن الاستدلال على نبوءة "**إخناتون**" وأنه صاحب دعوة ورسالة من خلال ما ردده إنه مكلف من قبل الإله لتنظيم المعاملات بين البشر وأن تلك مسئوليته بوصفه الواسطة أى الرسول بين الإله والبشر.

وقد سجلت لوحات عديدة فى الكرنك وإخيتاتون حوارات بين "**إخناتون**" وأتباعه من المؤمنين بدعوته .. فى إحداها : اعتراف من "**إخناتون**" بأنه حوارى المعتقد الجديد وتصريح أحد اتباعه بأن "**إخناتون**" صاحب مذهب ورسالة جاءت من قبل الإله.

يقول أحد أتباعه : ما أكثر من يستمع إليك وإلى مذهبك فى الحياة وما أكثر من يملأ ناظريه بمشاهدتك ولا تتوقف عينيه عن النظر لآتون كل يوم. ويرد "**إخناتون**" بقوله : أنت خادمى العظيم الذى يستمتع بمذهبي وأن كل عمل تؤديه يرضى قلبي عنه ، وأنا أمنحك هذه الوظيفة حتى تستطيع أن تأكل من أطعمة فرعون السيد فى بيت آتون.

---

(١) جيمس هندرى برستيد : فجر الضمير (الترجمة العربية) ط القاهرة ١٩٥٦.
جيمس هندرى برستيد : تطور الفكر والدين (الترجمة العربية) ط القاهرة ١٩٥٦.

وفى مقبرة الوزير موسى تسجيل لحوار بينه وبين "إخناتون" حين صرح بنبوته إليه .. يقول "إخناتون" لوزيره : كلمات رع ألقيتها عليك ، إن الإله قد علمنى إياها وكشف لى عن خباياها ، هذه الكلمات الذى عرفها قلبى. وانشرح لها صدرى .. فيرد الوزير على إخناتون : إنك الوحيد الذى أختاره "آتون" (الإله الواحد) لكى يلقى إليه تعاليمه والخوف منك والاحترام لك يملأ القلوب والجبال تستمع إليك كما يستمع الناس[1].

وكانت هذه الحوارات وأمثالها وراء تسمية "إخناتون" بالملك الفيلسوف أو "إخناتون" الرسول .

٥. دليل الدعوة :

ويتمثل فى أن الأنبياء لا يدعون لأنفسهم ولا يدعون بدعوة خاصة ولكنهم يدعون لعبادة الإله ويتوجهون بدعوتهم إلى جموع البشر ، وهذا ما فعله "إخناتون" عندما صرح بضرورة أن تكون العبادة للإله الواحد الذى يرمز له بآتون وكانت دعوته عامة للبشر لان الإله واحد والإنسان فى كل مكان واحد. وأكد إخناتون أن آتون هو إله جميع الكائنات ، الإنسان والحيوان والطير والجماد ، فهو خالق الجميع وراعيهم حتى الأسماك التى تعيش فى البحار والوحوش فى الأدغال والزواحف فى أحجارها والنباتات فى حقولها كلها تعبد الإله وتسبحه وأكد "إخناتون" أيضا أن عبادة آتون مكفولة للجميع لأن كل شخص له حق الاستمتاع بالحياة والدفء والوجود وممارسة شعائره ويجب أن تكون الدعوة للعبادة على العموم وألا تتضمن شرا أو حقدا بل يجب أن تكون خيرا وعلما وحبا وإخاء بين الناس .

---

(١) د. أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٤٦.
د. أحمد فخرى ، فى موكب الشمس جـ ٢ ، ص ٥٦١ – ٥٦٢.
محمد عبد اللطيف ، أمون فى الدولة الحديثة ص ٧٩ ، ٢٩٦ – ٢٩٧.
د. عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم جـ ١ ط ١٩٨٤ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٣٤.

وأكد كذلك على وجوب كراهية الشرور والآثام وفى مقدمتها التخريب والسرقة والقتل ، كما يجب التزام الصدق والعدل والأمانة والبعد عن الكذب والخيانة فدعوة "إخناتون" لعبادة الإله الواحد والتزام محاسن الأخلاق وإخلاص العبادة تدل على إنه لم يدع إلا بدعوة من سبقه من الأنبياء والرسل.

وجاءت تصريحات "إخناتون" معبرة عن هذه المعانى حين يقول :

- أن آتون ما هو إلا رع حار آختى الذى يتهلل فى أفقه باعتباره النور الذى فى الكوكب آتون .
- أن آتون هو معبود الفطرة القديم وإنه معبود أهل مصر الأولين ، وإنه هو نفسه الإله الواحد الذى كان يؤمن به أجداده وآبائه من الموحدين.
- أن آتون هو نفسه رع خار آختى الذى رغب الناس فى تسميته باسم الوالد.
- أن آتون الحى هو بداية الحياة.
- أن الناس يرفعون أذرعتهم ابتهالا لواهب الحياة لأنه الإله الأوحد الذى لا شبيه له ويقولون : أيها الإله ما أعظم الأعمال التى عملتها إنها خافية على الناس. أيها الإله لقد خلقت الدنيا كما شئت عندما كنت وحدك.
- أيها الإله إنك تضع كل شىء فى مكانه وأنت الذى تمدهم بما يحتاجونه ليحصل كل كائن على طعامه وسنوات حياته مقدرة له.
- إنك أنت الذى يميز أهل الأمم الأجنبية وأنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر وأنت الذى يأتى به عندما يشاء لتبقى على الناس وذلك

لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنـــت ســيدهم جميعــا ، ســيدهم الــذى يشغل نفسهم من أجلـــهم[1].

- وقد بذل "إخناتــون" جهدا كبيرا فـــى نشـــر الدعــوة وقــام بتوفــير أمـــاكن العبادة وممارسة الشعائر ، فأمر بتشييد العديـــد مــن المعــابد فــى رحــاب الكرنك وفى طيبة : مثل معبد آتون الخـــاص بــأمنحوتب الرابــع ، ومعبـد آتــون الخاص بنفرتيتي ، ومعبد آثر آتـــون القــوى إلــى الأبــد ، ومعبـد آثر آتــون المميز للأبـــد ، وقيــل أن "إخناتـــــون" كــان متفرغــا للدعــوة والعبادة وإنه كان يقوم بأداء الطقـــوس الدينيــة فــى معبــده الخــاص آثــر آتون المميز إلى الأبـــد.
- وكانت الطقوس التى يؤديها الملك فى هـــذا المعبـد تسـمى رفــع القرابيــن ولم يكتف "إخناتــون" بالدعوة داخـــل مصـــر بــل حــرص علـــى نشـــرها خارجها ، فأقـــام ثلاثـــة مراكــز للدعــوة الآتونيـــة فـــى مختلــف أنحــاء الإمبراطورية المصرية في منف والنوبة وفلســـطين ، بيــت شــمس .

وبعد هذه الأدلة يبقى السؤال : مـــا هـــى معجـــزة "إخناتـــــون" إذا كـــان مـــن الأنبيـــاء ؟

ولماذا لم يطالبه الرعية بمعجزة ؟ أم أنـــهم أمنـــوا بدعوتـــه وصدقـــوه مكتفييـــن بما سمعوا ورأوا منـــه ؟

---

[1] د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٢٤ - ٣٢٩.

الخاتمـــة

بسم الله والحمـــد لله ، والصــــلاة والســـلام علـــى رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم والحمد لله الذى أرسل الرســـل بـــأفضل القيـــم وأحســـن المثـــل ، ووهبنـــا الحكـــم وعلمنا ما لم نكن نعلـــم ..

من نعـــم الله علينـــا أن اهتدينـــا بنـــور العلـــوم والمعـــارف ، وســـلكنا طريـــق الحكمة والدين ، واهتدينا بنور العقـــل واليقيـــن.

ومن ثم وجب علينا التذكـــير بالمنـــهج والمصـــير وجـــهاد الإنســـان المصـــرى الأصيل ، الذى رفض الجمود والتخلف والجـــهل وتمســـك بالحكمـــة والعقـــل ، وحـــافظ على الجسم والنفس واعتقـــد فـــى الخلـــود والبعـــث وآمـــن بالإلـــه الواحـــد والضمـــير الحـــى.

ورغم الاعتراف بأن الحضارة المصريـــة لـــم تكتشـــف بعـــد وأن مـــا يعـــرف عنها هو القليل فإن القليل هـــو الـــذى يمـــلأ الدنيـــا الآن ويثـــير الفكـــر ويدفـــع علمـــاء المصريات من كل مكان إلى مزيد من ا لبحـــث والكشـــف.

فما بالنا لو تـــم اكتشـــافها ومعرفـــة مختلـــف جوانبـــها مـــن علـــوم ومعـــارف وفنون وآداب ، ومعتقدات وعادات وآثار وأفكـــار لتغـــيرت حضـــارة العصـــر وأشـــرق وجه مصر والعالم بنور الحقيقـــة.

وقد أثبتـــت البحـــوث والدراســـات ومنـــها هـــذا البحـــث أن مصـــر مـــهد التفلســـف والحضارة وأهلها منبع الحكمـــة والتديـــن :

- لأن حكمتهم ارتبطت بالعقل المفكـــر الواعـــى بـــالوجود المتواصـــل عـــبر الزمـــان سواء ماضى أو حاضر أو مســـتقبل.
- لأن حكمتـــهم كـــان مصدرهـــا رســـالات الســـماء وحكـــم الأنبيـــاء ، وكـــانوا أول الموحدين وفى مقدمة الساعين وراء المعرفة وإدراك الحقـــائق وإتقـــان العلـــوم.

- لأن حكمتهم كانت هى العلم بأسرار الوجـــود ، ومعرفـــة كــل أمـــر إلــهى مقــدس سواء قراءة أو كتابة ، سواء عمـــل أو عبـــادة.
- لأن حكمتهم كانت هى الالتزام بما ينبغى أن يكون مـــن أجـل تحقيـــق الكمـــال فــى مختلف العلوم والمعارف والفنـــون والصنـــائع.
- لأن حكمتهم كانت هـــى الوســيلة والغايـــة ، وســيلة تحقيـــق الكمـــال وغايـــة كـــل مسئول وكاتب أو حكيم ، ليصبح الحكيـــم هـــو العـــارف بالدولـــة والنظـــام والحكـــم والقانون ، إنه العليـــم بكافـــة الأمـــور ، القـــائم بالقضـــاء وشـئون المـــال والإدارة والتعليـم.
- لأن حكمتهم كانت في التوسط والاعتـــدال والعقـــل والكمـــال ، والطاعـــة والالـــتزام ، والخير والنظام .. فى العقل الواعى والضمـــير اليقـــظ.
- لأن حكمتهم هى الحقيقة ، وكانت الحقيقـــة هـــى الحـــق والصـــدق والعـــدل والبعـــد عن الشر والظلـــم والتطـــرف والعـــدوان .. كـــانت الحقيقـــة فـــى الالـــتزام الحـــر بالتعبير الصادق عن الآراء والخـــيرات والحكـــم.

كانت الحقيقة فى كل ما يكسب الســـمعة الطيبـــة ويدفـــع للخـــير والاحـــترام ويلـــزم الحكام بالعدل والرعية بالتعاون وفعـــل الخـــير.

- لأن حكمتهم كانت تتسم بالكلية والعموم ، ومن ثـــم أصبـــح الفكـــر المصـــرى فكـــر شعبى عام لا يرجع إلى فـــرد أو جماعـــة مـــن الحكمـــاء بـــل يرجـــع إلـــى عمـــوم الشعب الذى آمن بالحكمة واعتقد فى الخلود ومـــارس الفـــن وأتقـــن البنـــاء ، فكـــان فكره كلياً يشمل كل جوانب العلـــم والحيـــاة ، لدرجـــة أن المعرفـــة بـــالنفس والعـــالم والله والمصـــير أضحـــت أجـــزاء فـــى منظومـــة المعرفـــة الكليـــة بـعموم الحيـــاة فانتشرت العلوم والمعارف بين جموع الشـــعب حتـــى قيـــل إنـــه لا يوجـــد مصـــرى واحد فى العصر القديـــم جـــاهل بـــالقراءة والكتابـــة ، أو جـــاهل بتـــاريخ مجتمعـــه وأهم الأحداث التى مرت فى حياتـــــه.
- كانت الحكمة عندهم فى وحدة الفكر والمعتقد التى تولـــد عنـــها أشـــكالاً أخـــرى مـــن الوحدة ، مثل وحدة اللغـــــة والتـــاريخ والكتابـــة والمنـــهج والأداء والتعبـــير بـــالنقش

بالنقش والصورة عن المشاعر والأحداث ومظاهر الألفة والتعاون فى إنجاز الأعمال ومواجهة الأخطار والفيضان وبناء القرى والمعابد والأهرام.

وقد ساهمت حكمتهم القائمة فى وحدة الفكر فى تعميق مشاعر الوحدة والانسجام حتى تحولت قضايا الفكر والسلوك إلى بداهات عقلية ومنطقية لا خلاف عليها ، ومن ثم لم يعارض حكيم مصرى حكيم آخر فى قضية من القضايا وأصبحت مسائل البعث والحساب والخلود والألوهية والروح والضمير معتقدات راسخة يؤمن بها الجميع ولا يختلف حولها لأنها من قضايا الإيمان العام.

وقد دل على ذلك سلوك الملوك والأمراء وتعاليم الرسل والأنبياء ووصايا الكتاب والحكماء ونقوش المعابد والمقابر وما أكتشف فيها من برديات وكتب مثل كتاب الموتى ومتون الأهرام وكتابات الإنكارات.

- كانت الحكمة عندهم فى الاعتماد على العقل والتجربة والتمسك بنظام الأسرة وتربية الأبناء على القيم والمثل وممارسة الشعائر واحترام أهل الخبرة وأهل المعرفة.
- فكان تأمل الظواهر ومتابعتها بدقة ومنهجية وراء تقدمهم فى علوم الفلك والطب والهندسة وما يتطلبه ذلك من أدوات للرصد والتسجيل والبحث وحساب المسافات والمساحات والأرقام وعلم بحركة النجوم والكواكب كما يتطلب نضج عقلى واسع حتى سمى بعض الحكماء مثل أمحوتب بكبير المتطلعين إلى السماء أو كبير الرائيين وكان بعض الكهنة يتولى منصب رئيس الفلكيين.وفى علم الطب ظهرت مؤلفات فى تشريح الجسم والأمراض التى تصيب كل عضو وكيفية علاجه مثل مؤلفات أمحوتب وبتاح حوتب ، كما ظهرت مؤلفات فى أسرار الأعشاب الطبية وما تعالجه من أمراض مثل كتاب جر إثوبيس وكتاب سنموت المسمى بالتوليفات.
- كانت الحكمة عندهم هى النور الدائم الذى يستضاء به فيظهر الحقائق وينير الطريق أمام راغبى المعارف ، ومن ثم حرص الأدباء والحكماء والرعية

والحكام تلقين أبناءهم أصول المعارف والتجارب في صورة مواعظ وإرشادات وحكم ...

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

- نصائح الملك آختوى الرابع [واج كارع آختوى] وهو آخر ملوك الأسرة العاشرة ٢١٣٣ – ٢٠٦٥ ق . م لابنه مريكارع.
- نصائح سنب حوتب أشهر حكماء الدولة الوسطى في مصر القديمة التي استمرت من ٢٢٨٠ حتى ١٥٠٠ ق . م .
- نصائح المصلح العجوز إيبوور في أواخر عصر الدولة القديمة حوالي ٢٣٠٠ ق . م.
- نصائح كتاب الحكمة ابتداء من أمحوتب ٢٧٨٠ ق . م وحتى بتوزيرس في عصر الأسرة الثلاثين حوالي ٣٥٠ ق . م.
- وكان محور هذه النصائح الدعوة لإعمال العقل لاكتساب الحكمة ، والحرص على فعل الخير من أجل الخلود والبقاء في الآخرة.
- كما نبهت إلى ضرورة العمل ليوم الحساب لأن الإله يعرف العاصي ويعاقبه.

وأكدت أن مثال الحقيقة والعدل ليس بعيداً عنهم فهناك عالم الآلهة التي ترعاها مثل الإله تحوت إله المعرفة والحكمة ، والإله ماعت إله الحق والصدق.

- ومن ثم فإن الحكمة لا تقتصر على المعرفة بعالم الطبيعة بل لابد من التعرف على عالم ما وراء الحس.
- كما أجمعت النصائح على أن التحلي بالحكمة أثمن ما في الحياة لأن التحلي بها يحقق السعادة والكمال والمكانة العالية في الدنيا والآخرة.

وهذا ما أكده الحكيم سنب حوتب حين قال : "يا بنـي تعلـم كيـف تحـرك أصـابعك القلم ، وكيف يحرك عقلك أصابعك ، فلا يخـط قلمـك إلا الحكمـة والمعرفـة ومـا ينفع النـاس".

وكذلك موعظة الحكيـم آمـون مـن التـى دارت حـول أهميـة العمـل بالحكمـة والإخلاص لها وما تحققه من سـعادة ، فقـال :

يا بنى كن كاتباً حتى يريح عقلك إجـهاد جسـمك.

يا بنى كن كاتباً لتصبح سيد نفسـك.

يا بنى كن كاتباً ينعم عليك الإله بحاسة جديدة مقدسـة تضـاف إلـى حواسـك الخمس ، حاسة تميزك عن الآخرين ، فسـترى مـالا يـراه الآخـرون وتسـمع مالا يسـمعه الآخـرون ، سـترى وتسـمع بعقلـك وقلبـك عـالم مـا وراء الطبيعة ، ستتمتع بشهوات عقلك ، وتسـعد قلبـك ومـن كـان قلبـه سـعيداً أسعد الآخريـن.

وهكذا صور كتّاب الحكمة فى مصر القديمة طبيعـة التفلسـف المصـرى الـذى يتسـم بالشـمولية والعمـوم والتوسـط والاعتـدال والمنهجيـة والتواصـل والاستمرار والوحدة والانسجام والتنـوع والتجديـد والابتكـار .. وهـى سـمات نراها واضحة عند مراجعة نصوص الحكمة التـى قدمـها كتّـاب الحكمـة علـى مدى عصور الدولة المصرية القديمة وعند تصفح ورقـات هـذا البحـث.

والله نسأل حسن القبول

والله الموفق والمعين

والحمد لله رب العالمين

بهتيم فى ١٤ ربيع الثانى ١٤١٩ هـ

الموافق ٧ أغسطس ١٩٩٨م

د. عبد الحميد درويش عبد الحميد

المراجع العربية

١. د. إبراهيم أحمد رزقانة : حضارة مصر والشرق القديم.

٢. د. أحمد بدوى : فى موكب الشمس جزان - ط٢ (١٩٥٥م).

٣. د. أحمد بدوى ، جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر : حـ١ العصر الفرعونى - القاهرة ١٩٧٤م.

٤. د. أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور ط ٨ الأنجلو المصرية ١٩٩٥م.

٥. د. أحمد فخرى ، جمال الدين مختار : الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديمة وآثارها - ط١ - (القاهرة).

٦. د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم : الفضائل الخلقية فى الإسلام (دار الوفاء - ط ١٩٨٩).

٧. السيد أبو ضيف المدنى : الأخلاق فى الأديان السماوية (دار الشروق ط ١٩٨٨).

٨. الغزالى (الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى) : إحياء علوم الدين حـ٣ - طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٩. سليمان أحمد حزين : فى تاريخ الحضارة المصرية جزء أول - ط القاهرة ١٩٦٢.

١٠. د.سليمان أحمد حزين : حضارة مصر أرض الكنانة ط١ (دار الشروق - القاهرة ١٩٩١)

١١. د. سليم حسن : مصر القديمة حـ١ ط ١٩٤٠ ، جزء (٢) طبعة ١٩٥٩، حـ٤ .

١٢. د. سليم حسن : الأدب المصرى القديم حـ١ ط. القاهرة.

١٣. سلامة موسى : تراث مصر القديمة (تراث مصر الفكرى والفلسفى فى عهد الفراعنة " مجلة المقتطف عدد سبتمبر ١٩٣٦) .

١٤. د. سيد كريم : الكاتب المصرى وروائع القصص العالمى الهيئة المصرية العامة للكتاب ط. ١٩٩٤

١٥. سيريل الدريد : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة " ترجمة وتحقيق مختار السويفى ، مراجعة د. أحمد فخرى (الدار المصرية اللبنانية ط١٩٨٩)

١٦. د. صلاح مصطفى الفوال " التصوير القرآنى للمجتمع - دار الفكر العربى - القاهرة - ط ١٩٨٥)

١٧. د. صلاح مصطفى الفوال : علم الاجتماع فى عالم متغير - دار الفكر العربى - القاهرة - ط١٩٩٦)

١٨. شارف إلكسندر : تاريخ مصر - ترجمة عبد المنعم أبو بكر - طبعة القاهرة ١٩٦٠.

١٩. شوقى جلال : الحضارة المصرية ، صراع الأسطورة والتاريخ - دار المعارف - القاهرة -١٩٩٦.

٢٠. د. عبد الحميد درويش : إثبات الرسالة وصفات الرسل - مكتبة وهبة ط ١٩٩٠.

٢١. د. عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها جزء أول القاهرة ١٩٦٢ .

٢٢. د. عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة طبعة القاهرة ١٩٦٦.

٢٣. د. عبد العزيز صالح : الأسرة المصرية فى عصورها القديمة طبعة القاهرة ١٩٨٨.

٢٤. د. عبد العزيز صالح : ديانة مصر القديمة طبعة القاهرة١٩٩٠.

٢٥. د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ١ – ط ٤ الأنجلو المصرية ١٩٨٤ .

٢٦. د. عبد القادر حمزة : التاريخ المصرى القديم – جزآن – طبعة القاهرة ١٩٧٠

٢٧. د. عبد المعطى شعراوى : أسطورة طيبة ، مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٤ .

٢٨. عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، مكتبة دار التراث ط ١٩٨٥ .

٢٩. د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية : ط القاهرة ١٩٨٩ .

٣٠. فتحى العقيل : إخناتون الفرعوني ، أول من دعى إلى التوحيد من غير الأنبياء في مصر – ط القاهرة ١٩٩٣ .

٣١. مايرز ، ج. ل مايرز : فجر التاريخ – ترجمة د. على عزت الأنصارى – مراجعة د. عبد العزيز عبد القادر كامل – ط القاهرة .

٣٢. د. محمد السيد غلاب : الفلسفة الشرقية ط٢ القاهرة ١٩٥٥ .

٣٣. د. محمد بيومى مهران : الديانة العربية القديمة – ط القاهرة ١٩٧٨ .

٣٤. د. محمد بيومى مهران : إخناتون ، عصره ودعوته – ط القاهرة ١٩٧٩

٣٥. د. محمد شفيق غربال : تاريخ الحضارة المصرية (الجزء الأول) طبعة القاهرة.

٣٦. د. محمد شفيق غربال : تكوين مصر عبر العصور – الهيئة المصرية العامة للكتاب (الطبعة الثانية ١٩٩٠) .

٣٧. مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية (الدار المصرية اللبنانية ط١٩٨٦).

٣٨. د. مصطفى النشار : بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقي في مصر القديمة (مجلة الجمعية الفلسفية المصرية عدد يونيو ١٩٩٢)

٣٩. مصطفى عامر : في تاريخ الحضارة المصرية م١ - القاهرة ١٩٦٢ .

٤٠. د. نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة - ط الإسكندرية ١٩٥٧ .

٤١. د. نديم السيار : قدماء المصريين أول الموحدين ط ٢ - حـ١ القاهرة ١٩٩٥ .

٤٢. هيرودوت : حضارة مصر - ترجمة د. محمد صقر خفاجة - تعليق د. أحمد بدوى - القاهرة ١٩٦٦ .

المـراجع الأجنبية

1. A. Erman : The Literature of the Ancient Egyptians.

والترجمة العربية : أدولف أرمان : ديانة مصر القديمة ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ، د. محمد أنور شكرى ط القاهرة ١٩٥٢.

2. A.H. Gardiner : The attitude of the ancient Egyptians to Death and the Dead, 1935.

3. A.H. Gardiner : Egypt of the Pharahs, 1964.

والترجمة العربية : آلن جاردنر : مصر الفراعنة ترجمـــة د. نجيـــب ميخـــائيل.

4. Baugaerte L.E.J. : The culture of prehistoric Egypt, Oxford, 1947

5. BREASTED .J.H : Ancient Records (B. A. R.) 1906.

6. BREASTED .J.H : A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian conquest, 2nd, ed., 1927.

ترجم إلى العربية بعنوان : انتصـــار الحضـــارة (تـــاريخ الشـــرق القديـــم) ترجمـــة د. أحمد فخـــرى.

7. BREASTED .J.H The Dawn of conscience, New York, 1933 , 1939.

والترجمة العربية : فجر الضمير : ترجمـــة د. ســـليم حســـن – طبعـــة مكتبـــة مصـــر ١٩٥٦.

8. BREASTED .J.H : Development of Religion and Thought in Ancient EGYPT, London

والترجمة العربية : تطور الفكر والديـــن : طبعـــة القـــاهرة ١٩٦٥.

9. BREASTED .J.H : Acity of Akhenaton in NUBIA , 1902.

10. Brunton .G. And Caton Thompson G: THE Badarian civilisation and predynastic Remains near Badari, LONDON, 1928.

11. C. Aldred : Akhenaton, 1968

12. Donald, B. Redford: studies on Akhenaton at thebos Museum University of pency Lvania

13. Donald, B. Redford: Reconstructing the temples of a Heretical pharaoh, Archaeology, 1975

14. Drioton . E . et Vandier. J.: L, EGYPTE 2nd, ed., 1946.

والترجمة العربية : دريوتون ، فانديه : مصر ترجمة : عباس بيومي ط٢ ١٩٥٠م.

15. Eliot. Smith: the Royal Mummies

16. E. Seidle : Low in the Legacy of EGYPT, 1947.

17. E. L. Griffith : the jubile of Akhenaton, 1918.

18. F. Daumas, Le civilization de L,EGYPTE pharaonique, Paris, 1965.

19. Faulkner: the Ancient Egyptians, Coffin Texts 1.

20. Frankfort, H: Kingship AND THE GODS, Chicago, 1948.

21. George Saraton : The History Of Science And The New Humanism New York 1965.

والترجمة العربية جـ ١ ط ١٩٥٦.

22. George Goyon : Le papyrus de Turin Annueles du Serveces, XL. LX.

23. GEORGE MASPERO : ETUDE de methodology . IV.

24. George Poscener Serge Saunerum, Jean Yeyotte: A Dictionary of Egyptian CiVilization.

25. GEORGE POSCENER : LA PREMIERE DOMINATION PERSE EGYPTE , BIBL, XI, LE CAIRE 1936.

26. H. Frankfort: The Birth Of Civilization , 1951.
27. H. Gauthier : Le Liver des Rois d' Egypte II.
28. Hayes, w, c. : The Scepter Of Egypt . Vol. New York , 1953.
29. John Wilson : The Burden of Egypt. Vol. New York 1953.

الترجمة العربية : د. أحمد فخرى ط ٢ ١٩٥٦ بعنوان الحضارة المصرية.

30. John Wilson : The Culture of Ancient Egypt, chicage 1963.
31. Gohn Ball : Egypt In The Classical Geographers Cairo 1942.
32. J. Vandier : la famine dans l'egypt ancienne le Cairo 1936.
33. J. Vandiar : La Religion egyptienne, paris 1949
34. John Milton : Sunrise Of Power:

ترجم إلى العربية ضمن كتاب : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية – ترجمة مختارة السويفى – الدار المصرية اللبنانية ط ١ ١٩٨٦.

35. L.a. White : Akhinaton : the great man and the culture proccess in joas. L.x viii 1948
36. Maret : La Passion D'osiris Dans Rois Et Dieux D' Egypte, Paris 1916
37. M. A. Hoffman : Egypt before the Pharahos, 1979.
38. Morenz : La Religion Egyptienne, Paris , 1962
39. Parker, R. The calendars of Ancient Egypt, Chicago 1950.
40. Pascal Venus Jean Yoyotte : Les Pharahos. (82).

الترجمة العربية : موسوعة الفراعنة ، ترجمة د. محمود ماهر مهران – دار الفكر للدراسات والنشر ط ١ القاهرة ١٩٩١.

41. Pritchard : Ancient Near Eastren Texs, 1950.
42. Pratt .L.A : ancient Egypt : sources of in formation. New York public library Vol. 2, 1942.
43. Sand Man : Texts From The Time Of Akhenaton 1938.
44. Smith .W.S.The Old Kingdom In Egypt Vol. London 1962,1965.

45. W. Budge : The Egyptian Book Of The Dead : Osiers And The Egyptian Resupection 2 Vol. 1911.

46. W. Budge : Frome Fatish To God in ancient Egypt Oxford,1934

47. Wainwright, G.A : The Sky Roligion In Egypt . Cambridge, 1938.

48. William Macquitty : Ramses The Greet Master Of The World.

ترجم إلى العربية ضمن كتاب : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية – ترجمة مختار السويفى – الدار المصرية اللبنانية ط١ ١٩٨٦.

محتويات الكتاب

رقم الصفحة



رقم الإيـــداع : ١٧٢٩٢ / ٩٨

الترقيم الدولي : I.S.B.N

977- 19 - 7763 - 6